1

Suppl. ar.
n° 539

كتاب

سلوان المطاع في عدوان الاتبا

الشيخ الأجل الفاضل العالم

برهان الشريعة ابي ع

محمد بن ابي محمد بن

بن ظفر عفى الله

عنه

BIBLIOTHEQUE ROYALE
M

30

alkoutob.blogspot.com

كتاب سلوان المطاع

قال عبد الله الفقير اليه الغني به محمد بن ابي محمد ابن محمد بن ظفر عفى
الله عنه ان شكر الله سبحانه لاسنى الملابس الفاخره • وان حمده لاعود
بخير الدنيا والاخره • فالحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا والمحبوب
في المكروه كمينا الذي ضرب دون اسرار الاقدار حجابا مستورا •
وقضى ان الجزع على الفطن حجرا محجورا • واوطى المستسلمين لمشاياه
مهادا وثيرا • وامطا المتبرمين بقضاياه كئودا وعثيرا • فقال
الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا • ويجعل الله فيه خيرا كثيرا • وصلى
الله على المرسل شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا سيدنا النبي المصطفى محمد وسلم تسليما • وبعد فان مما افضى بي
اليه اضطراب الاغتراب • وانتياب الاكتياب • ان ظفرني الله سبحانه وله
الحمد بمواخاة سقيل عتاق السادة السراة • ومسيل انفس الحسده
حسرات سايد السادة وقايد القادة • ابي عبد الله • محمد ابن ابي القسم
بن علي بن علوي القرشي بارك الله له • فيما الهمه كسبه • وكان وليه
وحسيبه فلقد انزل الدنيا بدرك منزلها • وكوشف بشرك مزلها
فعمل للبقا لا للفنا • وجمع للجود لا للاقتنا • وآخا للتعاون على البر
والتقوى لا للتهافت في هوى الهوى • وازان الرياسة بنفس لا تضيق

alkoutob.blogspot.com

بنازلة درعا • ولا تصغي الى الوشاة سمعا • ولا تدنس بطبع طبعا • وبحلم لا يرفع الغضب اليه راسا • وحزم لا يخاف الا ياله معه باسا • فالحمد لله الذي باحنى من اخايه حمى منيعا وحرما امينا • ومرتعا مريعا • وورد امنيعا

شعر

فنحن بقربه فيما اشتهينا • واحببنا وما اخترنا وشينا •

يقينا ما نخاف وان ظننا • به خيرا اراناه يقينا •

نميل على جوانبه كانا • اذا ملنا نميل على ابينا •

واقسم لولا ان الشكر عقد شرعي • وحق مرعي • لا قرت عينه بطي ما نشرت والتوريه عما اليه اشرت • اذ كان وقاني الله بعده ولا ابقاني بعده • يرى ان الشكر في وجوه الايه ندوب • والمدح من خواص اوليايه ذنوب • فلا زالت يد التوفيق له ناصره • وخطا النوايب عنه قاصره • ومكانة العلايه فاخره • ومكارم الاعداء له داخره • وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الامين • وعلى اله الاكرمين وصحبه وسلم عليه وعليهم في العالمين ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه • وتعضد الشكر وتساعفه • احببت ان اهدي هدية فايقه رايقه • تكون عنده نافقه وبقدره لايقه • فلم اجد ذلك الا العلم الذي شغفه حبا • والحكمه التي لم يزل بها صبا والادب الذي ستوعبه مولودا وكسبا • واستحره خلبا وقلبا • فاتحفته باساليب الغاية في احكام ايه • وهو كتاب ضمنته احد عشر اسلوبا • تفضي بسالكها الى العلم بالظاهر والمستنبط من قول الله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الاية • ثم شفعته

alkoutob.blogspot.com

بالمسمى لاستشفاف المعونة والاشراف وهو كتاب استوعبت فيه
مسايل ذينك التاليفين لشريفين مشفوعة بنخب براهينها ثم
عززتها بدرة القرة وهو كتاب انتظمت به درر انباء نجباء الابناء
فاودعته منها ما عز مطلبه وبهرت حكمته وحسن ادبه ثم ربعت
بكتابي هذا وهو كتاب عمدت فيه الي امثلة استاثر خواص الملوك
ببضاعتها ومنعتهم الغيرة عليها من اذاعتها فتوسعت في التعبير
بالفاظي عنها والتخير بعلي لها والتفنن بقوي فطنتي فيها توسعًا
لا يحظره شرعًا ولا ينبو عنه سمع حتى اذا عادت اهلتها بدورًا رايعة
واضت واديها عما بابعه نفثت في صورها ارواح الاخلاق الزكية
وكسوت جسومها حلل الاداب الملوكية وتوجت روسها بتيجان
الهمم الابية وقلدت عواتقها سيوف المكايد الحربية وصدرتها باي
من التنزيل المحكم واحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الي ما يلي
ذلك من منثور الحكم وموزونها وابكار الاداب وعونها فبرزت
روضة للقلوب ورياضة للعقول والطباع وسميتها سلوان المطاع
في عدوان الاتباع والسلوان جمع سلوانة وهي خرزة تزعم العرب
ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحب سلا قال الراجز
لو شرب السلوان ما سليت ما بي غنى عنكم ما حييت

فهي خمس سلوانات

السلوانة الاولى في التفويض السلوانة الثانية في التاسي السلوانة الثالثة في الصبر السلوانة الرابعة في الرضى السلوانة الخامسة في الزهد

alkoutob.blogspot.com

وانا

وانا ارغب الى الله تعالى في الامداد بالسداد والارشاد الى نفع العباد فبه الحول والمنة • وله الطول والمنة •

السلوانة الاولى في التفويض

قال الله ربنا تقدس اسمه فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا وقال تقدس اسمه فعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاستوقف من عقل امره عن الاقتراح عليه وافهمهم ما يرضاه من التفويض اليه والعاقل تارك الاقتراح على العالم بالصلاح ووجه افهام الندب الى التفويض من هاتين الايتين انه اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب والمحبوب قد ياتي بالمكروه فالاولى بذي البصيرة ان لا ياس من المضرة بالمسرة ولا ياس من المسرة بالمضرة فيستخير الله سبحانه ولا يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد من الله صرف البلاء واللطف في مكروه القضاء وبهذا عامل الله سبحانه مومن آل فرعون حين فوض امره الى الله وذلك ما بلغنا انه كان من ذوي قرابة فرعون وخواص اصحابه وكان وزراء فرعون وبطانته قد فطنوا ايمانه واتباعه موسى عليه السلام فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يصدقهم وعطفه عليه القرابة ولما ظهرت ايات الله سبحانه على يدي موسى عليه السلم بحضرة فرعون جمع فرعون بطانته ووزراه وفيهم ذلك المومن فشاورهم في امر موسى فاتفقوا على ان الراي مطاولة موسى عليه السلم وجمع السحرة لمقاومته وكان فرعون راى معاجلة موسى بالقتل

alkoutob.blogspot.com

صورة فرعون ووزراه

وبذلك اخبرنا ربنا تقدس اسمه فقال قالوا ارجه واخاه وارسل
في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم وقال عز من قايل وقال
فرعون ذروني اقتل موسى الاية ولما اطلع وزرا فرعون على رايه
في موسى عليه السلام امسكوا عن مراجعته هيبة له واشفق ذلك
المومن ان يبطش فرعون بموسى عليه السلم فعيل صبره وضاق بشره
صدره فقال ما اخبر الله به عنه اتقتلون رجلا ان يقول ربي
الله وقد جاكم بالبينات من ربكم ثم كانه استقال وراجع التقية
والحذر والتورية فقال ما اخبر الله عنه وان يك كاذبا فعليه
كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلما سمع مقالته
غضب وامر به فسجن ثم شاور بطانته ووزراه في امره فاشاروا
بان يبسط عليه العذاب ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رايه
فكره ذلك فرعون وعظمته عليه القرابه وامر فرعون وزراه
ان يصيروا الى ذلك المومن فيعظوه وينصحوه ويامروه بمراجعته

alkoutob.blogspot.com

سعيد ابن العاص وكان عمرو بن سعيد قد انطوى على دغل بنيه
وفساد طويه وطماعيه في نيل الخلافه وكان امير المومنين
عبد الملك قد فطن لذلك الا انه يبقى عليه لتاكد حرمته واواصل
رحمه فلما انفصل امير المومنين عن دمشق وسار عنها اياما واستمر
به السير تمارض عمرو ابن سعيد فاستاذن امير المومنين في
العود الى دمشق فاذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد
المنبر وخطب الناس خطبه نال فيها من الخليفه ودعا الناس الى خلعه
فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها
وحمى عورتها وسد ثغورها وبذل الرغايب فبلغ ذلك عبد الملك
ابن مروان وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه مع ذلك ان والي حمص
قد نزع يده من الطاعه وان اهل الثغور قد تشوفوا للخلاف فخرج
على وزرايه وبيده مخصره يضرب بها عطفه فاطلعهم على
ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى عليها عمر
ابن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق
ومصر واليمن وخراسان وهذا النعمان بن بشير امير حمص وزفر
بن الحارث امير قنسرين ونايل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم
من الطاعه وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل الثغور
للخلاف وهذه المصريه سيوفها على عواتقها تطالبنا بقتلى المرج
فلما سمع وزراه مقالته دهلت عقولهم وعلموا ان لا مقر ولا مفر
فنكسوا روسهم ولم ينطقوا فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون
احضروني غناكم فهذا وقت الحاجة اليكم فقال له افضلهم اي غنا

alkoutob.blogspot.com

عندنا في هذا الوقت ووددت والله اني كنت حربا على عود حتى تنقضي
هذه الفتن قال محمد عفى الله عنه الحرباء دابه صغيره طولها
اقل من شبر لها قوايم اربع وراسها شبه راس العجل اذا طلعت
الشمس عليها قامت على عود او جرثومه او حجر ثم استقبلت الشمس
بعينها وجعلت تراعيها ولا تصرف عينها عنها حتى تستوي
الشمس في اعلى فلكها فتصير على راس الحرباء فلا يمكنها النظر اليها
فتقلق وتضرب بلسانها حنكها كما يفعل من يسوق حمارا فلا تزال
كذلك حتى تزول الشمس فتستدير الحرباء فتقابلها ببصرها
وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربها فاذا غربت ذهب
الحرباء يبتغي ما ياكله ليلته كلها حتى اذا طلعت الشمس عاد لفعله
فتمنى هذا الرجل ان يكن حربا من تلك الفتن قال الكهل فلما
سمع عبد الملك مقالة صاحبه علم ان لا غنا عندهم فقام عنهم
وامرهم بلزوم موضعهم وركب من فوره منفردا وامر بجماعة من
شجعان اصحابه وامرهم ان يركبوا في السلاح ويتبعوه مبتعدين
عنه بحيث يرون اشارته ان اشار اليهم ففعلوا ذلك وسار عبد
الملك واتبعه القوم على ما رسم لهم فلم يزل سايرا حتى انتهى الى
شيخ كبير السن ضعيف الجسم سي الحال وهو يجمع السماق فسلم
عليه عبد الملك وانسه بحديث خفيف ثم قال له ايها الشيخ الك
علم بمنزل هذا العسكر فقال بلغني انهم نزلوا بموضع كذا فقال له
عبد الملك هل سمعت شيا مما يقول الناس في امره فقال الشيخ
ما سوالك عنه قال اني اردت اللحاق به والدخول في اصحابه

والتعرض

alkoutob.blogspot.com

ما كان عليه من الطاعة ويخوفوه عاقبة خلافه ففعلوا ذلك
فلما سمع المومن مقالتهم دعاهم الى الله وذكرهم ما عاينوه من الايات
وحذرهم زوال نعمة الله عنهم وحلول نكيره بهم وكان منه اليهم
معنى ما اخبر الله عز وجل به عنه من قوله يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب الآية وقوله يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد
الآية وقوله لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الاية وقوله
يا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار الى قوله فستذكرون
ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فعاد القوم
الى فرعون فاخبروه عن المومن بثبوته على المشاققة والمنابذة
والمعصية لفرعون وان النصح لم يزده الا تماديا على امره فساء
ذلك فرعون وشق عليه وخلا بنفسه مفكرا فيه فاتته ابنته
فسالته عن امره فاطلعها عليه فقالت له ان عندي الفرج مما
انت فيه فلا تعجل على خاصتك وذوي قرابتك فانه على ما تحب

صورة فرعون وابنته تخاطبه

alkoutob.blogspot.com

ولكنه لما رآى ان موسى قد امتنع بالسلطان الذي في عصاه وان
قتله مجاهرة غير ممكن تظاهر بما انكرته عليه ليخدع بذلك
موسى ويتمكن من مداخلته وقتله غيلة فكلما رآيت وسمعت انما
هو مكر بموسى وما منعه ان يطلع وزراءك على ذلك حين ذهبوا
اليه الا انهم اهل نميمة وحسد وبغي لم يطبعوا على مثل وفايه
ونصحه فسر فرعون بمقالتها والقى الله في نفسه تصديقها .
فيقال ان سببه امرأة فرعون هي التي امرتها بذلك فاحضر
فرعون ذلك المومن فاعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت ما انت
قاصد له وساع فيه فقل ما بدا لك ان تقول وافعل ما بدا لك
ان تفعله فلست اتهمك قال الله سبحانه فوقاه الله سيات
ما مكروا وحاق بآل فرعون سو العذاب اي حاق بهم ما ارادوا
بذلك المومن من التعذيب وان كان عذاب الآخرة لا يجتمع مع
عذاب الدنيا الا في التسمية وهذا كقوله سبحانه ولا يحيق المكر
السيى الا باهله واعلم رحمك الله واياي ان حقيقة التفويض
هو التسليم لاحكام الحكيم الذي دل الله عليه مصطفاه محمد صلعم
بقوله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل
المومنون فاس التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد انه لا يكون
من الخير ولا من الشر الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض ممن لا
يعتقد ذلك ويتدين به وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في التصريح
به والنص عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك ما قدر بك
وما لم يقدر لم يك واعلم ان الخلق لو اجتهدوا ان ينفعوك بشيء

alkoutob.blogspot.com

لم

والتحبب اليّ فقد انزلتني عن حسن ظني بك ولم يزل يتضرع الى
البطرك ويتملقه ويتقرب اليه العود الى ان سمح له بذلك فاذن له
وزوده وكتب معه كتابا الى المطران يخبره انه قد بعث اليه بسويدا
قلبه وسواد بصره فليحله من نفسه باعلى المراتب ويستضي برايه
فيما يشكل عليه فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه
وانزله معه في قبته وجعل زمام امره ونهيه بيده وجعل الوزير
يتنفق على المطران بما يحبه ويستميله بما يميل اليه ويطرفه كل ليلة
باخبار ممتعة رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك
ويدس في حديثه ما يحب ان يعلمه سابور من الاخبار ويفضيه اليه
من الاسرار فكان سابور يجد بذلك اعظم الراحه وكان الوزير
قد اعد لتخليص سابور انواعا من المكايد رتبها واسسها عند ما قدم
على المطران وكان يقال من ظن من الملوك ان لفطنته فضله
على فطنة وزيره فقد غلط وان اضاف الى ذلك الغلط مخالفة الوزير
لم يفلح وانما كانت فطن الوزراء اثقب من فطن الملوك لان الملوك
يتفقهون ابدا في سياسة من دونهم من الرعايا لا غير والوزرا يتفقهون
في سياسة الملوك وسياسة الرعايا فهم اشبه شي بالجوارح التي
تصيد وتفترس ويصيدها ايضا جوارح اشد منها فهي اعرف بالجوارح
بمكايد الاحتراس ومكايد الاكتساب وكان يقال احسن الوزرا حالا
من اعد لكل امر يمكن وقوعه ويجوز كونه عدة فاذا وقع الامر قابله
بما كان اعده له واسوا الوزرا حالا من توكل على لطف فطنته وقلة
وقوة حيلته ودربة ممارسته فترك الاعداد للامور قبل نزولها

alkoutob.blogspot.com

ثقة بنفسه وانما هو في ذلك بمنزلة من ترك تزوير القول
واعداده وترويته توكلا على فصاحة لسانه وقوة بديهته وحسن
ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه العي والحصر في بعض مقاماته
وبمنزلة من ترك حمل السلاح توكلا على قوة بدنه وشجاعته فيوشك
ان يظفر به عدوه في بعض المواطن قيل وكان من جملة المكايد
التي اعدها وزير سابور انه امتنع من مواكلة المطران وزعم له انه
لا يريد ان يخلط بالطعام الذي زوده البطرك طعاما غيره لما
يرجوه من بركة الاغتذاء به فكان اذا احضر طعام المطران اخرج
هو من ذلك الزاد فانفرد باكله منه فلم يزل قيصر سائرا بجنوده
حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها الفساد والفتك والسبي وتغوير
المياه وقطع الاشجار واخراب القرى والحصون وهو مع ذلك
يواصل مبادرا ليستولي على دار ملك سابور قبل ان يملكوا عليهم
رجلا ولم يكن للفرس هم الا الفرار من بين يديه والاعتصام منه
بالمعاقل فلم يزل قيصر على مثل ذلك حتى بلغ مدينة سابور وقراره
ملكه وهي المسماه جندي سابور فاحاط بها جنوده ونصب عليها
المناجنيق ولم يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة في دفعه
باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل هذا قد علمه سابور على
التفصيل بما يفهمه اياه وزيره ويدسه في احاديثه من الاشارات
والرموز والكنايات وكان سابور لم يسمع منه كلمة منذ سخنه قيصر
في تلك الصوره فلما عرف سابور ان قيصر قد ثقلت وطاته على
اهل جندي سابور وقد ثلم بالمناجنيق اسوارها واشرف على افتتاح

alkoutob.blogspot.com

المدينه

المدينه عيل صبره وساء ظنه بوزيره وجزع ويئس من النجاه مما هو
فيه فلما جاءه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعه قد نالت
مني منالا صعبا قد ضعفت عن احتماله فان كنتم تريدون بقا نفسي
فنفسوا عني منها واجعلوا بينها وبين عنقي ويدي خرقا من الحرير
فجاء الموكل بطعامه الي المطران فاعلمه بمقالة سابور وسمعها وزير
سابور فعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه بوزيره وفطن لما قصده
سابور فلما جن الليل عليه وجلس لمسامرة المطران قال الوزير لقد
ذكرت الليله حديثا عجيبا ما ذكرته مد كذا وكذا سنه ولوددت
اني كنت حدثته للبطرك قبل سفري عنه فقال المطران اني ارغب
اليك ان تحدثني به الليله ايها الحكيم الراهب فقال الوزير نعما وكرامه
ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور فقال ـــــ

صورة وزير سابور بزي راهب يخاطب المطران

انه كان عندنا بحليقيه فتى وفتاه في نهاية الحسن والظرف اسم

alkoutob.blogspot.com

الفتى ما معناه عين هله واسم الفتاه ما معناه سيدة النار .
وكانا زوجين موتلفين متحابين لا يبتغي احدهما بالاخر بدلا وان
عين هله جلس يوما مع اصحاب له يتحادثون فتذاكروا النساء
الى ان وصف احدهم امراة بالجمال البارع والظرف الرايع اسمها ما
معناه سيدة الذهب فوقع بقلب عين هله ميل اليها فسال الواصف
عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قرية عين هله ففكر عين
اهله في امرها وخامره حبها وطمحت نفسه اليها طموحا شديدا
وكان يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجه والجسم كالبيت
لهما فاذا كان سلطان العقل على النفس مبسوطا اشتغلت النفس
بمصالح الجسم كاشتغال المراة التي قهرها زوجها بمصالح بيتها وولدها
وبعلها فصلحت الجمله واذا كان سلطان النفس قويا على العقل
كان سعي النفس فاسد ومراعاتها مذمومه كفعل المراه التي قهرت
زوجها قيل فانطلق عين هله الى القرية التي تسكن بها سيدة الذهب
وطلب منزلها حتى عرفه صورة عين هله يترقب روية سيدة الذهب

alkoutob.blogspot.com

ولم نزل يتردد اليه حتى رآها منظراً معجباً ولم تكن احسن من
امرأته ولكنه كان يقال من ضرورة النفس ان تحن الى التنقل في الاحوال
اذ كانت نقلت بالتركيب الى عالم الكون ثم تنتقل بالتفريق الى عالم
الفساد وما افتتح امره بالنقله وختم امره بالنقله فالتق الاحوال
بتوسطه النقله ونازعت عين اهله نفسه الى الاستكثار من روية
سيدة الذهب فلزم المعاودة الى منزلها والتمتع بتاملها حتى فطن
له بعلها وكان جليقيا غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش
يسمى الديب فرصد عين اهله حتى مر به فلما راه وثب عليه فقتل
فرسه ومزق ثوابه وتعتعه وعنف عليه واستعان عليه با
صحاب له فاحتملوا عين اهله وادخلوه الى دار الديب وربطوه
الى سارية في بيت من بيوتها ووكل به الديب عجوزاً قطعا اليد
جدعا الانف عوراء العين شوها الحاله فلما جن عليه الليل

صورة عين اهله مربوطاً بالساريه والعجوز الجدعا تخاطبه

alkoutob.blogspot.com

اوقدت العجوز نارًا بالقرب من عين اهله وجلست تصطلي فتذكر
عين اهله ما كان فيه من السلامة والرفاهية والعز فزفر زفرةً
عاليه فاقبلت عليه العجوز وقالت يا ايها الفتى ما ذنبك الذي اوردك
في مورد الذل والشده فقال عين اهله ما علمت ان لي ذنبًا فقالت
العجوز هكذا قال الفرس للخنزير فلم يصدقه الخنزير ثم باحثه عن
امره فظهر على ما خفي عنه وعلم صدق ظن الخنزير فقال عين
اهله للعجوز ان رايت ان تحدثيني بذلك وكيف كان فانك تحسنين
الي به فقالت العجوز ذكروا ان فرسًا كان لرجل من الشجعان فكان
يكرمه ويجهزه ويحسن القيام عليه ويعده لمهماته ولا يصبر عنه
ساعة وكان يخرج به في الغدوات الى مرج فينزل سرجه ولجامه
ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى حتى ترتفع الشمس فيرده وانه خرج
يومًا الى ذلك المرج ونزل عنه فلما استقرت قدمه على الارض نفر
الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه
كله فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس الى
اهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس واظلم عليه
الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام ان يتمرغ فمنعه السرج
ورام ان يستلقي على احدى جانبيه فمنعه الركابات فبات بشر ليله
ولما اصبح ذهب يبتغي فرجًا مما هو فيه فاعترضه نهر فدخله
ليقطعه الى الجانب الاخر فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه
ولببه من جلد لم يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر اصابت الشمس
الحزام واللبب فيبسا واشتد الضرر به الى ما به من الجوع فلبث

alkoutob.blogspot.com

بذلك

بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فقام يمشي فمر به خنزير
فهم بقتله ثم عطفه عليه ما راه به من سوء الحال والضعف
فساله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام

صورة الفرس يخاطب الخنزير

وساله ان يصطنع عنده معروفا ويخلصه مما ابتلي به فساله
الخنزير عن الذنب الذي استحق به تلك العقوبه فزعم الفرس ان لا ذنب
له فقال الخنزير كلا بل انت كاذب في زعمك او جاهل بجرمك
فان كنت يا فرس كاذبا فما لي ان انفس عنك خناقا ولا اصطنع
عندك معروفا ولا ان اتخذك وليا ولا ان التمس عندك شكرا
او اطلب فيك اجرا وانه كان يقال اذا رايت نفس الكذاب قد تشتت
بها عالم الفساد فكلها اليه فانه اللايق بها لفساد تركيبها
والدليل على فساد تركيب نفس الكذاب انها معرضه مضربه عن الحقيقه
في الحوادث ونزاعه الى العدم المحض فيتصور العدم وجودا والبا

alkoutob.blogspot.com

طل

حقا وتصور ذلك في نفس المغتبط بها الراكن الى قولها وكان يقال
احذر مقارنة ذوي الطباع المرذوله لئلا يسرق طباعك من طبا
عهم وانت لا تشعر وكان يقال اصعب ما يعانيه الانسان ممارسة
صاحب لا يتحصل منه حقيقة وكان يقال لا تطمع في استصلاح
الرذل والحصول على مصافاته فان طباعه اصدق له منك
فلن يترك طباعه لك ثم قال الخنزير وان كنت يا فرس جاهلا
بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبه فجهلك بذنبك اعظم
منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم يرج فلاحه وكان يقال
احذر الجاهل فانه يجني على نفسه ولست احب اليه منها وكان
يقال ما شي اشبه بالكذب من الجهل وذلك لان الكذاب يتناسى
الصوره والقضيه المحسوستين ويتخيل الكذب الذي هو ضدهما
حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا الى غيره والجاهل
يرى الاشياء على خلاف ما هي عليه فيرى القبيح حسنا والحسن
قبيحا وانما الفرق بين الجاهل والكاذب ان الكاذب ياتي ما يعلم
خطاه فيه والجاهل لا يعلم ذلك فهو على نفسه وعلى غيره اشد
خيانة من الكاذب فقال الفرس للخنزير ينبغي لك ان لا تزهد في
اصطناع المعروف فقال الخنزير لست بزاهد في ذلك ولكنه كان يقال
العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير البادر لحبوبه الذي يبدرها زكى
من الارض فحدثني يا فرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك وعن حالك
قبل ذلك لاعلم من اين دهيت فحدثه الفرس بجميع امره وكيف
كان عند فارسه وكيف فارقه وما لقي في طريقه الى حين اجتماعه

alkoutob.blogspot.com

بالخنزير فقال الخنزير قد ظهر لي الان انك جاهل بجرمك وان لك ذنوبا ستة اولها خذلانك فارسك الذي احسن اليك واعدك للمهمات والثاني كفرك لاحسانه والثالث اضرارك به في طلبك والرابع تعديك على ما ليس هو لك وهو السرج واللجام والخامس اسائتك على نفسك بتعاطيك التوحش الذي لست له باهل ولا لك عليه مقدره والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك في غوايتك فقد كنت يا فرس متمكنا من العود الى فارسك والاستقاله من فارسك جهلك قبل ان يوهنك اللجام واللبب والحزام بالضبط فقال الفرس للخنزير اما اذ عرفتني ذنوبي وايقظتني لما كنت ذاهلا عنه محجوبا بحجاب الجهل فاطلق الان ودعني فاني مستحق لاضعاف ما انا فيه فقال الخنزير اما اذا عرفت وفطنت لهذا القدر ولمت نفسك ووبختها واخترت لنفسك العقوبة على جهلها واستعملت الحكمه التي وعيتها فانك حقيق ان ينفس عنك وانه قيل ان الاب لوقا كتب على باب بيته انه لن ينتفع بحكمتنا الا من عرف حكمتنا ووقف بها عند قدرها فمن كان بهذه الصفه فليدخل والا فليخرج حتى يكون بهذه الصفه ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فنفس عن الفرس قال فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم مقالتها وما ضربت له من الامثال اقبل على العجوز وقال لها قد صدقت فيما نطقت به وضربت لي مثلا كشف لي عن جلية امري وافدتني حكما لا كفا لها وادبتني فتادبت ووعظتني فاتعظت ثم حدثها حديثه ورغب اليها في ان تمن عليه بالاصطناع

alkoutob.blogspot.com

وتطلقه كما فعل الخنزير بالفرس فقالت له العجوز انك غر لا بصيره
لك بالكثر الامور وان الذي سالتني لا يمكني فعله الان ولعلي ان اجد
لك فرجا ومخرجا مما انت فيه فعليك بالصبر وامسكت العجوز عن
مخاطبته قال فلما انتهى وزير سابور في حديثه الى هذه الغايه
اقبل على المطران وقال له اني احس في راسي صداعا وفي اعضاي
فتورا ولا يمكنني الليله اتمام الحديث ولعلي ان اكون في الليله
القابله نشيطا الى ذلك قدير عليه فاكمل مسرتك باكماله فنهض
الى مضجعه فجعل سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل الامثال
التي رصعه بها ففهم ان الوزير كني عنه بعين اهله لانه ملك فارس
وكني عن مملكته واقليمه بسيدة النار لان رعيته يعبدون النار
وكني عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكني عن قيصر بالديب الذي
ذكر انه بعل سيدة الذهب وكني عن طموح نفس سابور الى رويه
سيدة الذهب اي مملكة الروم بطموح نفس عين اهله الى رويتها
وكني عن اخذ قيصر له بقبض الديب على عين اهله وقصد بما ضربه
من الامثال الحكميه تاديبه على شرهه وتغريره بنفسه ومخالفة
نصحاه وكني عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذله في خدمة
المطران وطلبه مرضاته وتملقه بالعجوز القطعاء الجدعاء العوراء
المشوهة الخلق وعرفه انه لا يمكنه تخليصه في ذلك الوقت
وانه ساع في خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك وعاودته
ثقته بوزيره واستروح ريح الفرج ولبث بذلك ليلته وغدها
الى الليلة القابله فلما تعشى المطران واخذ مقعد المسامره قال

alkoutob.blogspot.com

لوزيره

لوزير سابور ايها الحكيم الراهب اخبرني ما كان من عين هله
وكيف كانت عاقبة شدته وهل خلصته العجوز من وثاق الديب
ام لا فان نفسي الى علم ذلك متطلعة واراك الليلة صالح الحال
فقال الوزير سمعًا لقولك وطاعة لامرك ثم اقبل عليه يحدثه
فقال ان عين هله اقام على حاله موثوقًا طول ليلته تلك فلما اصبح
دخل الديب عليه فتهدده بالقتل وزاده الى وثاقه قيدًا ثقيلاً وخرج
عنه فقطع عين هله نهاره ذلك بالاماني فلما جنه الليل قلق
واستوحش فبكى وانتحب وجاته العجوز فاضرمت نارًا قريبة منه
وجلست تصطلي ثم اقبلت على عين هله فقالت له تعز واصطبر
واذكر مصايب غيرك من الناس فتاسى بهم ولا تذهل عن النعمة العظمى
في حق نفسك فقال عين هله لقد صدق القايل هان على الطليق
ما لقي الاسير فقالت له العجوز ايها الفتى ان حداثة سنك قصرت
بك عن ادراك كثير من الحقايق افتسمع حديثًا لك فيه سلوة
قال نعم فانعمي علي به فقالت العجوز ذكروا ان تاجرًا مكثرًا من المال
كان له ولد ليس له سواه وكان شديد المحبة له والشغف به
فاتحفه بعض معارفه بغزال شدخ صغير فعلق به قلب الغلام
ولد التاجر وكان لا يفارقه وجعل اهل الغلام على ذلك الغزال
حليًا نفيسًا وارتبطوا له شاة ترضعه حتى اشتد الغزال وشدت
نجم قرناه فقال الغلام ما هذا الذي في راس الغزال قالوا قرناه
فاعجبه سوادهما وبريقهما وقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان
حتى يكون صفتهما كيت وكيت فقال الغلام لابيه احب ان ادي

alkoutob.blogspot.com

ظبياً له قرنان كبيران • فامر ابوه فصيد له ظبي ثني السن قد استكمل قوةً ونمواً • فاعجب به الغلام وكرمه اهله وحلوه وآنسوه ه

صورة الغلام وابوه والظبي والغزال

والف الغزال الظبي للمجانسة الطبيعية فقال الغزال للظبي ما ظننت قبل ان اراك ان لي في الدنيا شكلاً ثم لما رأيتك وقع في نفسي ان لي اشكالاً كثيرة فقال له الظبي نعم ان اشكالك لكثيرة فقال له الغزال اين هي فاخبره بتوحشها وانفرادها في فلوات الارض فراراً من الناس وحدثه عن مراتعها ومواردها وازدواجها وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبي وتمنى ان يراها فيكون معها فقال له الظبي هذه امنية لا خير لك فيها وانت قد نشات في رفاهية من العيش وامنة لا تعرف غيرهما ولو حصلت فيما تمنيت لندمت وانه كان يقال ثلاثة من لم ينزلها بمنزلتها ويرع لها حقها اسرعت مفارقته والتحول عنه وهي الملوك والعلماء والنعم وكان يقال الاماني في الشدة ارتياح

alkoutob.blogspot.com

لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك فقوله صلى الله عليه
وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما قدر بك الى اخر الكلام
بيان لعلة التي من اجلها فوض العقلا وسلموا الى الله عز وجل ونحو
ذلك مما رويناه في مسند مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لابي هريره في كلام قال له وان اصابك شي فلا تقل لو فعلت
كذى كان كذى وكذى ولكن قل قدر الله وما شا الله فعل فان
لو تفتح عمل الشيطان فدله على التفويض الى الله والتسليم لامره
ونهاه عن قول لو لما كانت تنافي التفويض الى الله وتقتضي الاعترا ض
على قدره والتعاطي لدفع مشيته ومما رويته من صحيح مسلم
عن البرا ابن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
اخذت مضجعك فتوضا وضوك للصلاه ثم اضطجع على شقك
الايمن ثم قل اللهم اني سلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجات
ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك
امنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت الحديث ٥

اسجاع وابيات حكميه في التفويض

معارضة العليل طبيبه توجب تعذيبه ؛
؛ انما الكيس الماهر من استسلم في قبض القاهر
اذا كانت مغالبة القدر مستحيله فمن اعوان نفوذه الحيله ؛
؛ اذا التبست المصادر بالموارد ففوض الى القادر
ان من الدلالة على ان الانسان مصرف مغلوب ومدبر مربوب
ان يتبلد رايه في بعض الخطوب ويعمى عليه الصواب المطلوب

alkoutob.blogspot.com

فاذا كان ذلك كذلك فان تدميره في تدبيره • واغتياله في احتياله وهلكته في حركته • قيل كان الحجاج بن يوسف الثقفي اذا تعارضت اراؤه في خطب من الخطوب انشد

دعها سماويه تجري على قدر • لا تفسدنها برأي منك منكوس

وفي ذلك قلت

ايا من يعول في المشكلات على ما راه وما دبره
اذا اشكل الامر فابرا به الى من يرى منه ما لم تره
تكن بين عطف يقيك المخوف ولطف يهون ما قدره
اذا كنت تحمل عقبى الامور وما لك حول ولا مقدره
فلم ذا العنا وعلام الاسى وفيما الحذار وفيما الشره

وقلت ايضا

يا رب مغتبط ومغبوط برأي فيه هلكه
ومنافس في ملك ما يشقيه في الدارين ملكه
علم العواقب دونه ستر وليس يرام هتكه
ومعارض الاقدار بالآراء سيء الحال ضنكه
فكن امرا محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده وعناده المقدار شركه

روضة رايقة ورياضة فايقة

لما بلغ الوليد بن عبد الملك ان ابن عمه يزيد ابن الوليد ابن عبد الملك قد اوغر عليه الصدور وشرد عنه القلوب واستجاش اليمن عليه

alkoutob.blogspot.com

وتارة

ونازعه دار ملكه ساعيا في هلكه استوحش من بطانته واحتجب
عن سماره فدعا في عشية من عشايا وحشته خادما له فقال
انطلق متنكرا فقف ببعض الطرق وتامل من يمر بك من الناس
فاذا رايت كهلا رث الهيئة والملبس يمشي مشيا هوينا وهو مطرق
فسلم عليه وقل له في اذنه ان امير المومنين يدعوك فان اسرع

صورة المامون يخاطب خادمه

في الاجابة فاتني به وان تلكى او تلوى او استراب فدعه واطلب غيره
حتى تاتيني برجل على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فاتاه
برجل على ما وصف له وشرط فلما دخل الكهل على الوليد بن يزيد
حياه بتحية الخلافه وقام فامره الوليد بالجلوس والدنو منه
وامهله الى ان ذهبت روعته وسكن جاشه ثم اقبل عليه فقال
له اتحسن مسامرة الخلفا فقال الكهل نعم احسنها يا امير المومنين
فقال له الوليد ان كنت تحسنها فاخبر عنها ما هي فقال الكهل المسامرة
اخبار المنصت وانصات المخبر ومفاوضة فيما يحب ويليق فقال

alkoutob.blogspot.com

الوليد احسنت ايها الشيخ لا ازيدك امتحانا فقل نصت لقولك فقال
الكهل يا امير المومنين ان المسامره صنفان لا ثالث لهما احدهما اخبار
بما يوافق خبرا مسموعا والثاني اخبار بما يوافق غرضا مقترحا ولم
اسمع بحضرة امير المومنين حديثا فاحذوا على مثاله ولا اقترح على
امير المومنين سلوك طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها فقال
له الوليد صدقت ايها الشيخ وها نحن نقترح عليك ونرسم لك رسما
لتقتفيه انا بلغنا ان رجلا من رعيتنا سعى فيما يضيم ملكا فاتسع
سعيه وشق ذلك علينا وبلغ منا فهل نما ذلك الى علمك فقال
الكهل

صورة الكهل يخاطب الوليد

نعم يا امير المومنين فقال له الوليد قل الان على حسب ما نمي اليك منه
وعلى حسب ما ترضى من التدبير فيه فقال الكهل يا امير المومنين
بلغني ان امير المومنين عبد الملك ابن مروان لما ندب الناس لقتال
عبد الله بن الزبير وخرج بهم الى مكه حرسها الله استصحب عمرو بن

alkoutob.blogspot.com

سعيد

والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ اني اراك اديبا وضيا واحسبك
حسيبا سريا فهل تحب ان نصح لك فيما انت قاصده فقال عبد الملك

صورة عبد الملك يخاطب الشيخ

ما احوجني الى ذلك فقال الشيخ انه ينبغي ان تصرف نفسك عن هذا
الذي ترغب اليه فان الامير الذي انت قاصده قد انحلت عرى
ملكه ونابذه اتباعه واضطربت اموره وان السلطان في حال
اضطراب اموره كالبحر في حال هيجه لا ينبغي ان يقرب فقال عبد
الملك ايها الشيخ ان الحنكة لم تبلغ بي مغالبة نفسي في كل ما ترغب اليه
واني اجدها تنزع الى صحبة هذا الامير نزاعا شديدا ولا بد لي من
ذلك فهل لك ان تحسن الي فتخبرني بما تراه من الراي لهذا الامير
في تدبيره هذه الخطوب التي دهمته لاعرض عليه ذلك الراي وانفق
به عنده فلعله ان يكون سببا لقربي منه فقال الشيخ ان حكمة الله
وعزته ليقضيان بحجب العقول والاراء عن النفوذ في بعض النوازل

alkoutob.blogspot.com

واني لاظن ان هذه النازله التي نزلت بهذا الخليفه من النوازل
التي لاتنفذ فيها العقول ولا يهتدي الي صواب تدبيرها الراي واني
لاكره ان ارد مسلتك بالخيبة فيها وها انا اقول فيما سالتني عنه
قولا اقضي رغبتك وان كنت لا اثق بنفسي فيه لان الخطب عظيم
جدا والخطر فيه يضاهي عظمه فقال له عبد الملك قل جزاك الله
خيرا فاني لارجو ان يسددك الله ويرشدك ويرشدني بك الي
الفلاح فقال الشيخ ان هذا الخليفه خرج لمحاربة عدوه فظهر من
مشية الله سبحانه انه لا يريد ما قصد له والدليل علي ان الله لم يرد
قصده لمحاربة ابن الزبير انه قطعه عن التمادي بما احدثه في دار
ملكه من وثوب عمرو ابن سعيد علي منبره واستفساده لرعيته
واستيلايه علي بيوت مواله وسرير خلافته واني مشير عليك
تتفقد احوال هذا الامير وانتظار ما يكون منه فان رايته قد
تمادي في ما خرج له واصر عليه من قصده لابن الزبير فاعلم انه
مخذول فاجتنبه وانما كان مخذولا لان الله سبحانه قد اظهر من
حكمه امرا يقطعه عن التمادي لما خرج اليه فابي الا لجاجا وان
رايته قد رجع من حيث جا وترك ما كان قصد له وخرج اليه فارج
له السلامه لانه مستقيل مراجع والله سبحانه اهل ان يقيل من
استقاله ويرحم من رجع اليه فقال له عبد الملك يا شيخ وهل
رجوعه الي دمشق الا كمسيره الي ابن الزبير اذ كان قد ظاهر من حكم الله
ومشيته ان تنقض عنه قلوب رعيته الذين بدمشق وعن موالاتهم
وبسط ايديهم بالبيعة لغيره كمسيره الي ابن الزبير كرجوعه الي عمرو

alkoutob.blogspot.com

ابن سعيد لان كل واحد منهما حاصل على مملكة مبتغه ورعية
مطيعه فقال له الشيخ ان الذي اشكل عليك لواضح بين وها انا
اريك اللبس في ذلك وازيله عنك ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير
كان في صورة ظالم له لان ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب
له على مملكه وهو اذا قصد عمرو بن سعيد نكث بيعته وخان امانته
وافسد عيبته وحملهم على النكث والغدر ووثب على دار ملك لم
يكن قط له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو
ابن سعيد عليه متعد ولها مغتصب وانه كان يقال سمين الغصب
مهزول ووالي الغدر معزول وكان يقال جيش العدوان مفلول
وغرس الطغيان مثلول • وساضرب لك مثلا يشفي النفس وينفي
اللبس واودعه من فقر الحكم ما يشحذ الفطن والالباب ويسفر عن
وجه الصواب زعموا ان ثعلبا كان يدعى ظالما وكان له جحر
ياوي اليه وكان مغتبطا به لا يبغي عنه بدلا فخرج يوما يبتغي ما ياكل
ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج وعلم انها قد
اوطنته صورة الثعلب والحية في وكره

alkoutob.blogspot.com

وذلك ان الحية لا تتخذ جحرا وتدخل الجحر فتغتصبها وتطرد عنها
ما كان فيها من الحيوان قال الراجز يصف رجلا بالظلم

وانت كالافعى التي لا تحتفر ثم تجي سادرة فتنجحر

ولذلك قالوا فلان اظلم من حية فهذا ظلمها ولما راي ظالم ان الحية
ان الحية قد اوطنت جحره فلم يمكنه الكون معها ذهب يطلب لنفسه
ماوى فانتهى به التطواف الى جحر حسن الظاهر حصين الموضع في ارض
خصبة ذات اشجار ملتفة وماء معين فاعجبه وسال به فاخبر
ان ذلك الجحر لثعلب يدعا مفوضا وذنه عزابيه فناداه ظالم
فخرج اليه ورحب به وادخله الجحر وساله عن ما قصد له فقص له
خبره وشكا اليه ما ناله فرق له مفوض ثم اقبل عليه فقال
له ان من الهمة ان لا تقصر عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك
في ابتغاء دفعه وهلكه وانه كان يقال من تهيب عدوه فقد
جهز الى نفسه جيشا وكان يقال رب حيلة انفع من قبيلة وكان
يقال الموت في طلب الثار خير من الحياة في العار وكان يقال
اذا طالبت عدوك بالقوة فلا تقدم عليه حتى تعلم ضعفه عنك
واذا طالبته بالمكيدة فلا يعظمن امره عندك وان كان عظيما.
والراي عندي ان تنطلق معي الى ماواك الذي انتزع من يدك غصبا
حتى اطلع عليه فلعلي اهتدي الى وجه مكيدة بها تمكنك منه فان
افضل الراي ما اسس على الروية ولهذا قيل يفسد التدبير بثلاثة
اسباب احدهما ان يكثر الشركاء فيه فاذا كان ذلك انتشر التدبير
وبطل والثاني ان يكون الشركاء في التدبير متحاسدين متنافسين

alkoutob.blogspot.com

فيفسد

فيدخله الهوى والبغي فيفسد والثالث ان يملك التدبير من غاب عن
الامر المدبر دون من باشره وشاهده فاذا كان ذلك دخله حقد
المباشر الحاضر وفوت الفرص ثم تدبير المسموعات موسس على ظنون
الخبر وتدبير المبصرات موسس على يقين النظر فانطلقا معا
الى ذلك الحجر فتامله مفوض وعلم ما اراد علمه من امره ثم اقبل
على ظالم فقال له قد شاهدت من امر مسكنك ما فتح لي باب
المكيده وسفر لي عن وجه الراي فيه فقال له ظالم اطلعني على
ما ظهر لك فقال مفوض ان اضعف الراي ما سنح في البديهه وانه
كان يقال الراي مرآة العقل فمن اردت ان ترى صورة عقله فا
ستنشره وكان يقال الراي سيف العقل ولما كان امضى السيوف
ما بولغ في ارهاف حده واجيد صقله كان انجح الآراء ما كثر امتحانه
واطيل تامله وكان يقال كل راي لا تتمخض به الفكره ليلة كامله
فهو مولود لغير تمام ثم قال له انطلق معي فبت الليله عندي
لا نظر ليلتي فيما يسنح لي من المكيده ففعلا وبات مفوض مفكرا
في ذلك

صورة ظالم ومفوض في الوكر

alkoutob.blogspot.com

وجعل ظالم يتامل مسكن مفوض فرآي من سعته وطيب تربته
وحصانته وكثرة مرافقه ما اشتد له اعجابه به وحرصه
عليه وطفق يدبر الحيله في غصبه ونفي مفوض عنه وكان
يقال اللييم كالنار ذكراها ضرامها وكالخمر سلبها وتبيعها
صريعها وكان يقال العاقل يقدم التجريب على التقريب
والاختبار على الاختيار والثقة على المقة فلما اصبحا قال
مفوض لظالم اني رايت ذلك الجحر بموضع بعيد من الشجر والخضر
فاصرف نفسك عنه وهلم اعينك على احتفار مسكن بهذا المكان
المتيسر الموافق فقال له ظالم ان ذلك لا يمكني لان لي نفسا تهلك
لبعد الوطن حنينا ولا تملك مع فقد السكن سكونا وانه كان يقال
دلايل الوفاء سبع بر الاباء والامهات وصلة ذوي القرابات
والنزاع الي الوطن والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق الشباب
واللبس لاخلاق الثياب والصبر على هرم الدواب وكان يقال
الغريب ميت الاحياء قد اعاده البين اثرا بعد عين وقيل اسم الغربه
حروف مجموعه من اسماء داله على محصول الغربه فالغين من غرور
وغيبه وغبن وغم وغلة وهي حرارة الحزن وغير وغول وهي كل
مهلكة والراء من رزو وروع وردي وهو الهلاك والبا من بلوي
وبوس وبرح وهي الداهيه وبوار وهو الهلاك والهاء من هون
وهول وهم وهلك فلما سمع مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به
من الرغبة في وطنه قال له اني اري ان نذهب يومنا هذا فنحتطب
حطبا ونربط منه حزمتين واذا اقبل الليل انطلقنا الي بعض

alkoutob.blogspot.com

17

هذه الخيام فاخذت قبس نار واحتملنا الحطب والقبس وقصدنا
الى مسكنك فجعلنا الحزمتين على بابه واضرمنا هما نارًا فان خرجت
الحية احترقت وان لزمت الجحر احرقها الدخان فقال ظالم نعم
الراي هذا فانطلقا فاحتطبا وربطا من الحطب حزمتين بقدر
ما يطيقان حمله ولما جاء الليل واوقد الخيام النار انطلق مفوض
لياخذ قبسًا فعمد ظالم الى احد الحزمتين فانزلها الى موضع غيبها
فيه ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض ودخله وجدبها
اليه فادخلها اليه وسد بها الباب وقدر في نفسه ان مفوضًا
اذا اتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته ولان بابه مسدود
بالحطب سدًا محكمًا فاكثر ما يقدر عليه ان يحاصره فاذا يبس منه
ذهب فنظر في نفسه ماوى وقد كان ظالم راى في جحر مفوض
طعمة ادخرها مفوض لنفسه فعول ظالم على الاقتيات بها في مدة
الحصار واذهله الشره والبغي عن فساد هذا الراي وانه متعرض
لمثل ما عزم مفوض ان يفعله بالحية وكان يقال احترس من
تدبيرك على عدوك كاحتراسك من تدبيره عليك فرب هالك
بما دبر وساقط في البير الذي احتفر وجريح بالسلاح الذي شهر
ثم ان مفوضًا جاء بالقبس فلم يجد ظالمًا ولا وجد الحطب فظن
ان ظالمًا قد احتمل الحزمتين معًا تخفيفًا عنه وانه بادر بهما نحو
جحره اشفاقًا ان ياتي مفوض فيحمل احدهما فشق ذلك على مفوض
وظهر له من الراي ان يترك القبس ويبادر اليه فيلحقه ليحمل معه
الحطب فالقى من يده القبس ثم كره ان تنفذه الريح فيحتاج الى

alkoutob.blogspot.com

طلب قبس آخر فادخله في باب الجحر ليستتر بذلك فاصاب الحطب
فاضرمه نارًا واحترق ظالم في الجحر وحاق به مكره فلما اطلع
مفوض على امر ظالم قال ما رايت كالبغي سلاحًا اكثر عمله في متحمله
ولهذا قيل لكل عاثر راحم الا الباغي فان القلوب مطبقة على الشماتة
بمصرعه وقيل الباغي باحث عن مدية حتفه بظلفه ومتردد
في مهاوي تدميره بمساوي تدبيره وقيل ما اجتمع الملك والبغي
على سرير الا اخلا وقيل ما اعطى البغي احدًا شيًا الا اخذ منه اضعافه

صورة ظالم في جحر مفوض وقد احترق ومفوض ينظر النار

ثم ان مفوضًا امتهل حتى طفيت النار فدخل جحره فاستخرج جيفة
ظالم فالقاها واوطن جحره على حال تحفظ واحتراس واستعداد
لكيد الكايدين فهذا مثل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته عبد الملك
ومخالفته على دار ملكه وتحصنه فيها وقد كان عبد الملك في مخرجه
الى محاربة ابن الزبير عاملًا في ما بايديه عن عمرو بن سعيد وبقا
الملك في اهل بيته وخروجه عن ابن الزبير اذ كان عن عبد الملك عن

alkoutob.blogspot.com

عمرو ابن سعيد وملكه ملكا له فلم يرض عمرو ابن سعيد سعته
ولا اعانه على مصلحة نفسه وفعل كفعل ظالم مع مفوض سوا
فلما سمع عبد الملك ما ضربه الشيخ من المثل واستبصر فيما اودعه من
الحكم سر بذلك سرورا شديدا ثم اقبل على الشيخ فقال جزيت
خيرا فقد عظمت يدك عندي واني لاوثر ان تجعل بيني وبينك
موعدا وتذكر لي مكانك لالقاك به بعد يومي هذا فقال
له الشيخ وما الذي تريد بذلك فقال عبد الملك اومل ان تنفع
برايك عند الامير فاكافيك على ما كان منك فقال الشيخ اني
اعطيت لله عهدا ان لا اتهم منه لبخيل فقال عبد الملك ومن اين
علمت اني بخيل فقال الشيخ كيف لا اعلم وقد رجات صلتي ومكافاتي
مع القدرة على تعجيلها فما عليك لو وصلتني ببعض ما ارى عليك
من السلاح والبزة السنيه فقال عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت
ثم نزع سيفه وقال اقبل مني سيفي هذا فان قيمته عشرون
الف درهم

صورة الوليد يعطي سيفه للشيخ الفقير

alkoutob.blogspot.com

تي

فقال الشيخ اني لا اقبل صلة داهل فدعني وربي الذي لا يبخل ولا
يذهل وهو حسبي فلما سمع عبد الملك مقالته علم فضله في دينه
وقال انا عبد الملك فاعتمدني وارفع حوايجك الي فقال الشيخ وانا
عبد الملك فلم نرفع حوايجنا الي من انا وانت له عبدان فانطلق
عبد الملك وعمل برايه فانجح فلما سمع الوليد ما اخبر به الكهل
استرجح عقله واستظرف ادبه وساله عن نفسه فتسمى له وانتسب
فلم يعرفه الوليد فاستحيى منه وقال ان جهل مثلك من رعيته لمضيع
فقال الكهل يا امير المومنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم
ابوابها فقال الوليد كلا والله فلا توسعنا غدا لا نستحقه ثم امر
بصلته معجله وعهد اليه في ملازمة بابه عهدا فكان يسمع من
ادبه وحكمته الى ان كان من امر الوليد ما هو مشهور

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل لما عزم امير المومنين محمد الامين على اخراج عهد الخلافة عن
اخيه المامون والمامون اذ ذاك مقيم بخراسان كتب اليه الامين
كتابا يذكر فيه حاجته الى لقايه ومفاوضته في مهم حدث وسله
ان يستنيب بخراسان من يحفظها ويعجل الشخوص الى بغداد وكتب الى
المامون عيونه الذين ببغداد ان الامين يريد خلعه من عهد الخلافه
ونقل عهده الى موسى ابن محمد الامين فلما وقف المامون على ما كتب اليه
اخوه وعيونه شاور وزراه فاشاروا عليه بالتثبت والتعلل والاعتذر
بشعث خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه لا يجد

alkoutob.blogspot.com

من يثق اليه من الكفاة لامرها فكتب المامون الى الامين بذلك فعاوده
الامين بمكاتبة ثانية وانه لو قدم عليه لقلبته ببغداد حتى
يرجع انما يريده كي يفاوضه في خطب جسيم لا يودع مثله الكتب
فحين انتهى كتابه الى المامون اطلع عليه وزراه واستشارهم
فاشاروا عليه بمثل ذلك فكتب الى الامين بنحو ما كتب اولا وكتب
الى الامين عيونه بخراسان ان المامون قد فطن لما يراد منه وانه ممتنع
ع مشاقق وان وزراه اجمعوا على امره بالامتناع فيئس الامين من تمام
المكيدة على اخيه وامر بالقبض على من ببغداد من حشم المامون وحرمه
وبطانته وما ظهر عليه من امواله وبلغ ذلك المامون فخامره الجزع
وشاور وزراه صورة المامون يشاور وزراه

فثبتوا على رايهم وحضوه التثبت وانتظار الفرج ففعل ذلك فلما
راى الامين اصرار اخيه المامون على الامتناع دعا الناس الى البيعة
لابنه موسى وهو طفل فاجابوه الى ذلك وبايعوا له وسماه الناطق

alkoutob.blogspot.com

بالحق واستكفل له علي بن عيسى ابن ماهان فجعله في حجره وكان
علي ابن عيسى قد ولي خراسان قبل ذلك مدة طويله فاصطنع بها
الرجال واعتقد المنن في الاعناق وكان شانه بخراسان عظيماً
فاستشاره الامين في امر خراسان فضمن له امرها وانه لو بلغ خراسا
لم يختلف عليه اثنان ممن بها فجهزه الامين اليها وولاه كل بلد
تغلب عليه واعطاه اموالاً جزيله وجهز معه جمهور عسكره
واصحبه من السلاح والكراع ما شا وبلغ ذلك المامون فاضطرب امره
وعلم عجزه عن مقاومته اعني علي ابن عيسى ابن ماهان فركب الي متنزه
له ليناظر وزراه في تدبير امره فعارضه شيخ هرم من الفرس مجوسي
فناداه بالفارسيه مستغيثاً به من مظلمة نالته فلما نظر المامون
الي هرمه رق له وامر بان يحمل علي دابه ويتبع به الي الموضع الذي قصد

صورة المامون راكب والفارسي الشيخ مستغيثاً به

ويدخل عليه بغير استيذان ولما استقر المامون ووزراه بذلك

alkoutob.blogspot.com

الموضع

20

الموضع الذي قصدوا له ادخل عليه الشيخ الفارسي فامره بالجلوس
في حاشية المجلس ثم اقبل على اصحابه فاخبرهم بما صنعه اخوه
الامين من القبض على حاشيته وماله وتجهيزه علي بن عيسى بن
ماهان وهو يظن ان الشيخ لا يحسن اللسان العربي وان ما به من
الهرم شاغل له عن الاصغاء الى ما هم فيه مع ما حمله على ذلك من
القلق والاضطراب فلما راى القوم ان المامون لم يتحفظ من الشيخ
تفاوضوا فيما جلسوا له وطالت مناظرتهم الى ان قال احدهم الراي
اصطناع قوم من الاغنام الذين لا يعرفون علي بن عيسى فليلقى بهم
وقال غيره الراي ان يبادر بالارسال الى الامين بطلب الصفح وبذل
الانقياد لامره فانه يرى ذلك خطا وقال غيره الراي ان نلجأ
الى بعض المعاقل فنعتصم به وننتظر الفرج وقال غيره الراي ان
نجمع اهل النجدة والباس فنزيح عللهم ثم نقصد بهم هذه الممالك
المجاورة لنا من ممالك الكفار فنصدقهم القتال ولعل الله ان
يظفرنا فنصير الى مملكة تاوينا ويمنع الينا من هو على مثل راينا
فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي الله امره وقال غيره
الراي عندي ايها الامير ان تنحاز الى ملك الترك مستجيرا به ومستعينا
على اخيك فهذا امر لم تزل الملوك تفعله اذا دهمها ما لا قبل لها به
فلما سمع المامون هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الراي
ثم افكر فقال كيف اجعل للكفار على حرب المسلمين سبيلا وقال
لاصحابه قوموا عني فنهضوا اجمعين والتفت فراى الشيخ الفارسي
فقربه ورفق به وساله عن امره وما قصد له على لسان ترجمان

alkoutob.blogspot.com

اقامه له فقال الشيخ الفارسي بلسان عربي ايها الامير اني جيت
لحاجة فعرض لي دونها ما هو اكد منها واولى بالعنايه فقال
له المامون قل ما احببت سالكا سبيل الادب فقال الشيخ ايها الامير
اني دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبه لك ثم قد القى الله في قلبي
من المحبة للامير ما ملاه وانه كان يقال الرق ثلاثة انواع فاولها
واشدها استيعابا للباطن والظاهر رق الاختراع وهو الرق
لله صانع الاشياء ومخترعها والثاني رق الاصطناع وهو رق
المنعم عليه للمنعم والثالث وهو رق الاتباع وهو صنفان احدهما
رق الحب وهو اقربها الى رق الاختراع لان له سلطانا مبسوطا
على الظاهر والباطن والثاني رق الرعية لراعيها ورق العبيد
لساداتها وانا اخبر الامير اعزه الله انه قد تظافرت له على ثلث
قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع فان راى
الامير اعزه الله ان يوسل وسيلتي ويصدق املي ويسعف طلبتي
فيلحقني برداء اختصاصي ويكرمني بمكاثرة اوليايه ونصحايه فعل
ذلك غير محتاج اليه وان عبده ليرجوا ان تصادف الصنيعة منه
شاكرا والاختصاص منه مشفقا ناصحا فقال له المامون
ما دينك ايها الشيخ فقال مجوسي فاطرق المامون مفكرا فيما تكلم به
فقال الشيخ لا يصدن الامير عني حقارة قدري وانه كان يقال
لا تحقرن من الاتباع احدا فانك تنتفع به كاينا ما كان وهو احد رجلين
اما شريفا فتتجمل به او وضيعا فيحمي عرضك ويصون مروتك
وعلى اني لست اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاق ولا

alkoutob.blogspot.com

حقارة

21

حقارة فاما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعراقي فاني برهمي
ولد البراهمين سيد ملوك الفرس المتوسط بينها وبين ملوك
الاوايل وانما اعني حقارة ديني عند الامير وكوني في عقد ذمة
وصغار جزية فقال له المامون ما نبا عنك ايها الشيخ من رغبة
وان تنقلت من ذمتنا الى ملتنا البحقناك شعارنا فقال الشيخ ان
الباعث من نفسي الى ما دعاني اليه الامير لشديد ولكني لا افعله
في مقامي هذا ولعلي ان افعله فيما بعده ثم قال ايأذن لي الامير
ان اتكلم فيما فاوض الان فيه وزراه فقال المامون تكلم فقال
له الشيخ قد سمعت ما اشار به وزراء الامير وكل منهم مجتهد
في الاصابة ولست ارضى شيا مما ذهبوا اليه فقال له المامون
اطلعنا على ما تراه فقال الشيخ اني اجد في الحكم التي ورثها اباي عن
ابايهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يلزم نفسه
وقلبه التسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من
التحفظ والدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر
حصل على العذر فقال له المامون ايها الشيخ انه كان يقال
لا راي لمكذوب وقد سمحت انفسنا لك بالثقة من غير امتحان
وما ذاك لاختيارنا اضاعة الحزم ولكن احببنا ان نضيقك ثم حبنا
بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا
يعني علي ابن عيسى هو املك بالبلد منا ثم لا يمكننا مقاومته لو اردنا
ذلك لتعذر الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان تمحوا هذا
الامر من قلبك بالجمله وان لا تصغي الى من يشير به فانه كان يقال

alkoutob.blogspot.com

ما كثر من كثرة البغي ولا اقوى من قوة الظلم ولا املك من ملكة
الغضب وها انا احدثك عن من ان حدوث مثاله نلت مناله فقال
فقال له المامون هات فقال الشيخ ان الخنشوار ملك الهياطله
لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدًا
ان لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصى تخوم ارض
الهياطله صخرة واخذ على فيروز عهدًا لا يتجاوز تلك الصخرة
ولما استوثق الخنشوار من فيروز بما اخذ عليه من عهود المسالمه
اطلقه فحين رجع فيروز الى دار ملكه داخلته الحميه والانفه
فعزم على غزو الخنشوار واطلع وزراه على ذلك فحذروه النكث
وخوفوه عاقبة البغي فما ردعه ذلك عما هم به فاذكروه العهود
التي اخذها عليه الخنشوار فقال لهم اني انما حلفت له ان لا اتجاوز
تلك الصخرة وانا آمر بحملها على فيل فتكون بين يدي جنودي
لا يتجاوزها احد منهم فلما راوا ان الهوى قد وقف به على حد
الرضى بهذا القول علموا انقياد عقله لشهوته فامسكوا عنه واعتقدوا
ان لا يراجعوه في ذلك وكان يقال الهوى صدا يعلو العقل فلا ينطبع
فيه صورة الحقايق وكان يقال ما لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة
السكر فاذا بلغ اللجاج فذلك زين السكر وقوة سلطانه وكان
يقال لا يرشد تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة او الغضب عليه
لانها حال احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم
سلطانه عليها فاما سلطان العقل فطارٍ مستفاد وللعقل
حجابان وهما الشهوة والغضب فلا يزال العقل ناظرًا الى الهوى

alkoutob.blogspot.com

قاهرًا

قاهرًا له ما لم يحجبه غضبًا وشهوة • فحينيذ ينبسط سلطان
الهوى وينفذ حكمه • قال فجمع فيروز مرازبته وهم اربع •
صورة فيروز راكب بجيشه والفيل يتقدمه وعليه الصخره

يتبع كل مرزبان خمسون الف مقاتل كان كل واحد منهم ضابطا
لربع من ارباع مملكة بابل وامرهم بالتجهيز لحرب الهياطله •
ففعلوا ذلك وسار فيروز نحو الخنشوار في جيوش يظن ان لا غالب
لها وكان الخنشوار يضعف عن مقاومة مرزبان من مرازبته
وانما كان ظفره بفيروز لا بمكيده عملها ليس هذا موضع ذكرها
وكان موبدان موبد ومعنى هذا الاسم حافظ حفظة الدين
وهو عند الفرس كالنبي قال لفيروز حين راى عزمه على غزو
الخنشوار لا تفعل ايها الملك فان رب العالمين يمهل الملوك على الجور
ما لم ياخذوا في هدم اركان الشريعه فلا تتعرض له بسو فلم يلتفت
فيروز الى هذه المقاله وركب راسه في معصية نصحايه وكان يقال

alkoutob.blogspot.com

يستدل على ادبار الملك بخمسة امور احدها ان يستكفي الملك الاحداث
ومن لاخبرة له بالعواقب والثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى
والثالث ان ينقص خراجه عن قدر مؤونة ملكه والرابع ان يكون
تقريبه وابعاده للهوى لا للراي والخامس استهانته بنصايح العقلا
وآراء ذوي الحنكه وكان يقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا
وكان يقال انما يكون الصواب وروده بحسب قوة التخيل الفكري
وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الراي غالبا ومن
ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى غالبا وعلى حكم هذا القانون
فمن عدم الفكرة في الامور التحق بالبهايم ثم قال الشيخ الفارسي وان
فيروز سار قاصدا نحو الخنشوار حتى اذا انتهى الى تلك الصخرة التي
التي نصبها الخنشوار علما لتخوم ارضه واستحلف فيروز ان لا يتجاوزها
امر فيروز بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذي يحملها
بين يدي عسكر فيروز ونهى ان يتجاوز ذلك الفيل احد من العسكر
فما ابعد عن ذلك المكان الذي كانت الصخرة فيه حتى جاءه رجل من
ثقاة اصحابه فاخبره ان اسوارا عظيم الشان قتل رجلا مسكينا
ظلما وعدوانا وجاء اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز
وتظلم من الاسوار قاتل اخيه فامر فيروز بمال عوض دم اخيه
فابى قبول المال وقال لا يرضيني الا دم قاتل اخي فامر فيروز بطرد
فانطلق من فوره الى ذلك الاسوار الذي قتل اخاه فشد عليه بخنجر
في يده فلما راه الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر
الى فيروز فتعجب فيروز من ذلك فنزل وزير من وزراء فيروز عن

alkoutob.blogspot.com

دابته

وقد كان قيصر لما بلغه ما ايد الله به سابور من لطف المنة وعظم
الهمة وشدة الباس في حال الصبا حذره حذرا شديدا فبعث الى
حضرته مصورا ماهرا فحكى صورة سابور في مجلسه وحال ركوبه
وغير ذلك من ضروب الاحوال التي شاهده عليها ذلك المصور
وقدم بتلك الصور على قيصر وامر قيصر بان تصور تلك الصور على
فرشه وستوره وفي آلات اكله وشربه فصنع ذلك على ما امر به
ورسم ولما دخل سابور دار قيصر واستقر في مجلسه وطعم
مع من حضر ذلك المجلس اتوا بالشراب في كؤوس البلور والذهب والفضة
والزجاج المحكم وكان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم
ذو فراسة صادقة فلما وقعت عينه على سابور انكره وجعل
يتامل شخصه ونظرته واشارته فراى عليه مخايل الرياسة
فطفق يستشفه ولا يصرف عنه بصره حتى اتى ذلك المتفرس بكاس
فيه صورة سابور فتاملها فانطبعت في نفسه مثالا لذلك الشخص
الذي انكره وغلب على ظنه انه سابور فامسك القدح في يده امساكا
طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التي في هذا القدح
تخبرني خبرا عجيبا فقيل له ما الذي تخبرك فقال تخبرني هذه
الصورة ان الذي هي مثاله معنا في مجلسنا هذا ونظر الى سابور
وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ما ظنه واعاد القول ثانيا
فبلغ كلامه قيصر فاذناه وساله فاخبره ان سابور معه في مجلسه
واشار اليه فامر قيصر بالقبض عليه فقبض على سابور وقرب
من قيصر فساله عن حاله فتعلل بضروب فقال ذلك المتفرس

alkoutob.blogspot.com

لا تقتلوا منه فهو سابور لا محاله فامر قيصر بقتله ليرعبه بذلك
فاعترف لهم بانه سابور وكان يقال قلوب الحكماء تستشف الاسرار
من لمحات الابصار وطالما دلت اوايل المبصرات على اواخر المستطرات
وقيل كما ان الابصار مرائى تنطبع فيها المشاهدات اذا سلمت من صدا
الافات فكذلك العقول مرائى تنطبع فيها بعض الغايبات اذا
سلمت من صداء الشهوات وقيل من الادلة على مكاشفة الله القلوب
ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشيء الذي يكرهه او يحبه
ثم يكون ذلك الشيء الذي يتوقع على نحو ما يتوقع منه فقد يرى
الانسان الانسان فيحبه بغير احسان فرط منه اليه او يبغضه لغير
اساة جناها عليه ثم يكون منه الاحسان والاساة قيل فلما
اعترف سابور بصدق ذلك المتفرس حبسه قيصر مكرما وامر فعملت
له آلة من جلود البقر صورة بقرة كاعظم ما يكون من البقر
وطوبقت عليها الجلود سبع طباق واتخذ لها باب من اعلاها في ظهر
الصورة يدخل اليها ويخرج منها وجعلت فيها كوه من اسفلها في
موضع المبال وامر سابور فجمعت يداه الى عنقه بجامعة من الذهب
ذات سلسلة ليمكنه معها تناول ما يصلحه من طعام وشراب
وادخل سابور في جوف تلك الصورة وهذا بعد ان حشد قيصر جنوده
واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة التي سجن فيها سابور
ماية رجل من ذوي الباس والقوة يحملونها دولا بينهم وجعل على
كل خمسة منهم رئيسا يضبط امرهم وصرفا من جميعهم الى المطران
ومعنى هذا اللقب صاحب البلد الا انها رياسة دينية وهو خليفة

alkoutob.blogspot.com

المطران

البطرك فكانت تلك الصوره تحمل بين يدي المطران فاذا نزل
العسكر نزلت تلك الصوره التي فيها سابور في وسط العسكر
وضربت عليها قبه تسترها واطاف بها خمسون من الموكلين
بها ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر قباب مستديره بها
وكان في كل قبه خمسه ورئيسهم معهم وضربت للمطران قبه
مجاورة قبة سابور وضربت خارج القباب كلها خيمة يصنع
فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب اقدارهم ومراتبهم
وسار قيصر محتفلاً في جنوده وقد عزم على اخراب بلاد الفرس
وتعفية معالم ملكهم لعلمه ان لا دافع يدفعه عنهم وكان
يقال الحزم التزام مداجاة العدو ما دامت لدولته ريح اقبال
كما ان العجز اضاعة الفرصه فيه اذا ادبرت دولته وركدت ريح
اقباله وكان يقال العاقل لا يكون في سلطان ملك اجتمعت
فيه خصلتان الانهماك في اللذات واضاعة الفرص وكان يقال
تميز الملوك على السوقه انما يكون بفضيلة الذات لا بفضيلة
الالات وفضيلة ذات الملك بخمس خصال رحمة تشمل رعيته
ويقظة تحوطهم وصولة تذب عنهم ولبانة يكيد بها الاعدا
وحزامة ينتهز بها الفرص فهذه فضيلة الذات واما فضيلة
الادوات باتخاذ المباني الوثيقه العليه والملابس الانيقه السريه
والذخاير النفيسه السنيه والمطاعم الشهيه والمراكب البهيه فهذه
فضيلة يفضل بها هذه الادوات على ما هو دونها من اجناسها
فيكون للقصر فضل على غيره من القصور وللثوب فضل على غيره

alkoutob.blogspot.com

من الثياب وللذخيرة فضل على غيرها من الذخاير وللطعام فضل
على غيره من الاطعمه وللدابه فضل على غيرها من الدواب فالفضيلة
لهذه الاشياء لا لمالكها قيل فلما سار قيصر بجنوده ومعه
سابور على الهية التي ذكرناها فقال وزير سابور للبطرك انما
استفدت بخدمتك والتقرب منك الرغبة في صالح الاعمال وانه
لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود وجر نفع الى مضطر وقد
علمت كفايتي في معاناة الجرحى وان نفسي تنازعني الى صحبة الملك
قيصر في سفره هذا فلعل الله ان يستنقذ بي نفسا صالحه يترحم
علي من اجلها ويقدس قلبي بخدمتها ويحفظني لها فكره البطرك
ذلك وقال له قد علمت اني لا استطيع فراقك ساعة فكيف تطالبني
السفر البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما اكرهه وتسومني
ما يشق علي احتماله كما لم اظن انك تؤثر شيا من الاشياء على القرب
مني صورة البطريرك ووزير سابور يخاطبه

alkoutob.blogspot.com

والتجنب

25

وفي الرخا جماح فلا ينبغي ان يأذن العاقل لنفسه من الاماني الا في المقدار
الذي يونس الوحشة وينفس الكربه فان استيلاء الاماني على النفس
كامر السفل الذين يعدون الروس اعجازا والاعجاز روسا ويسعون
في قلب الاعيان وتغيير صورة الصواب فقال الغزال للظبي لابد
لي من اللحاق باشكالي فلما راى الظبي الغزال غير منتهٍ وخاف عليه
ان يقطع به دون بلوغ ما تمناه لانه غر لا يعرف التحرز من مكايد
الانس لم يجد بدًّا من اتباعه والكون معه ليقضي حق حرمة الفته
اياه فرصد حينا يمكنه فيه الفرار وخرجا جميعا حتى لحقا بالصحراء
فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب يعدو لا يثنيه شي فسقط
في اخدود ضيق قد قطعه السيل فنشب فيه وانتظر ان ياتيه الظبي
ليخلصه فلم ياته فبقي هناك واما ولد التاجر فانه لما اصبح عدم
الغزال والظبي فجزع لفقدهما واشفق ابوه عليه فاستدعى كل من
يعاني الصيد بذلك البلد فعرفهم القصه وكلفهم طلب الظبي
والغزال ووعد من وجدهما له وعدا مرغوبا فيه وانبثوا في سهل
الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر دابته وفرق اتباعه على باب
المدينه ينتظرون من ياتي من الصيادين وانطلق هو وعبدان من
عبيده حتى اتوا الصحراء فراى على بعد رجلا مكبا على شيء بين يديه
فاسرع نحوه فاذا هو ذلك الظبي الذي يطلبه فخلصه من يد
الصياد وامر عبديه ففتشاه فوجدا معه الحلي الذي كان
على الظبي فساله كيف ظفر بالظبي واين وجده فقال

صورة التاجر وغلاميه والصياد والظبي

alkoutob.blogspot.com

اني بت في الصحرا فنصبت شركًا وكنت قريبًا منه فلما اصبحت جاء
هذا الظبي ومعه غزال فمر الغزال يعدو ويمرح في غير جهة الشرك
وجاء هذا الظبي يمشي حتى حصل في الشرك فاخذته وقصدت به المدينه

فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي اني مخطي في ادخالي الظبي للمدينه حيًا
لعلمي انه اذا اراني طولبت بما كان عليه من الزينه فرايت ان اذبحه وادخل
به لحمًا فهذا خبري فقال له التاجر لقد جنى عليك شحك الخيبه
والحرمان فماذا عليك لو اطلقته فذهب وحصلت انت على حليه
وزينته ولقد صدق القايل لا يدخل الشره مدخلًا الا اعقبته الحسره
ولا يدخل البخل مدخلًا الا اعقبته الحسره الا ترى ان من جملة البخل
والشره على اكل اللقمة التي عافتها نفسه كان معرضًا للحرمه بتنوع ما اكله
والحسرة عليه عند مفارقته ثم ان التاجر بعث بالظبي مع احد عبيده
الى ولده وقال لذلك الصياد ارجع معي فارني الجهة التي رايت الغزال
سعى نحوها فرجع به الى تلك الجهه وجعل الصياد يفتش ويتشرف

alkoutob.blogspot.com

على المواضع المرتفعه ومشى التاجر على رسله فسمع ترنب الغزال وهو
صوته فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته عرفه فصوت
واتبع التاجر الصوت حتى قام عليه واذا هو في اخدود اي شق في الارض

صورة التاجر والغزال في الاخدود

منتشبا فيه فاخذه ونادى الصياد فوهب له دراهم وصرفه ورجع
التاجر بالغزال الى ولده فكملت مسرة ولد التاجر وجعل الغزال
يتجنب الظبي اذا رآه ولا يالفه كما كان واذا حصل معه في موضع نفر منه
اشد النفور فتنغصت مسرة ولد التاجر وجعل الغزال يزيد في نفرة
من الظبي وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الغزال والظبي على حال
الفة وسكون فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال يوما نائما في بيت
دخل عليه الظبي فعاتبه على نفاره منه وطول هجرته له فقال
الغزال انسيت غدرك لي احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرك
فقال الظبي اني لم اغدر ولم اخن ولكن عدم رسوخك في علم التجربه

alkoutob.blogspot.com

او قعك في تهمة البري واني لم اتاخر عن تخليصك مما حصلت فيه الا
مضطراً الي التاخر عنك عاجزاً عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه
حصل في شرك صياد فعلم الغزال عذره وعادا الي تالفهما قال فلما
سمع عين الهله حديث العجوز وفهم ما اوردته من ذكر عجزها عن تخليصه
امسك عن خطابها قيل فلما انتهي وزير سابور من حديثه الي هذا الحد
سكت فقال له المطران ايها الحكيم ما هذا السكوت لعلك تريد ان تؤخر
اخباري بما جري من عاقبة عين الهله وما لقي من الديب وما صنعته معه
العجوز فقال الوزير اني لعازم علي ذلك لفتور اجده في اعضاي
فقال له المطران لا تفعل فان ذلك يسوؤني ويشق علي فاحمل الي علي
نفسك الليلة ايها الحكيم الراهب فاني ارغب في تانيسك معجب باحاديثك
فقال له الوزير افعل ذلك طلباً لمرضاتك ولو علمت ايها المطران ما
دخرت لك من عجايب الاخبار وغرايب الاسمار لعجبت من ذلك غاية العجب
ثم اندفع يحدثه قال ان عين الهله لما سمع حديث العجوز وفهم ما ارادته
امسك عنها ولبث ليلته تلك باسوء حال فلما اصبح دخل عليه الديب
فنال منه وتعتعه وعنفه وتهدده بالقتل وزاده قيداً الي قيده
وعرفه ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له من يديه وخرج عنه فجعل
يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها الفرج فلما اقبل عليه الليل استوحش
واحتوته الافكار الممرضه وانتظر ان تجلس اليه العجوز او تحادثه
فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر الدخول والخروج الي البيت الذي فيه
عين الهله ولا تستقر فيه فساء ظن عين الهله وايقن بالهلكه وما
شك في ان الديب يقتله فاقبل علي البكاء حتي ذهب صدر من الليل

alkoutob.blogspot.com

27

ثم قال للعجوز مالك لم تونسيني في هذه الليله بحديثك ولاجلست

الي فجلست اليه وقالت له اماكان لك في رويتي قطعا جدعا مشوهه

عوراء سيئة الحال ما يحملك علي التاسي والتسلي وحمد الله وشكره

علي سلامتك ومعافاتك من بلاء هو اعظم من بلايك حتي قلت هان

علي الطليق مالقي الاسير ولو علمت ان اسري اشد من اسرك فاستمع

احدثك حديثي اعلم ايها الفتي اني كنت زوجه لبعض الفرسان الانجاد

وكان الي محسنا وبي رفيقا ولي محبا فكنت معه في الذ عيش واهناه

فلبثت كذلك مدة طويله وولدت له اولادا ذكورا واناثا فكبروا

في رفاهية ونعمه فغضب الملك علي زوجي لامر كان منه فقتله

وقتل ذكور اولادي وباعني انا وبناتي متفرقات فاشتراني انا هذا

الفارس الذي عدي عليك واحتملني الي هذه القريه واسا الي

وكلفني من العمل مالا طاقة لي به واكثر معاقبتي علي غير ذنب

لما طبع الله فيه من القسوة والفظاظة فسالته ان يرفق بي واستغثت

عليه باخوانه ومن يكرم عليه لكي يخفف عني او يبيعني فلم يزده

السوال والشفاعات الا قسوة علي واضرارا بي فلبثت بذلك سبع

سنين ثم فررت منه فتبعني فادركني فجدع انفي ثم عاود قسوته

علي واضراره بي وعاودت مسالته والاستشفاع اليه وهو مقيم علي

سو رايه في فمكثت بذلك سبع سنين اخري ثم فررت منه فظفر

بي فقطع يدي وقال انما بقي لي من اعضايك التي انتفع بها عينك

ويدك فان فررت بعدها قطعت رجليك معا وابقيتك انتفع

بعينك في الحراسه وبيدك في العمل واقسم علي ذلك بغليظ الايمان

alkoutob.blogspot.com

وعاود عسفي ومضرتي وقد عزمت الليلة على ان اخلصك واقتل نفسي
بيدي طلبا للراحة مما انا فيه ولهذا رأيتني اكثر من الدخول
اليك والخروج عنك وانما ذلك لحيرتي وجزعي من الموت وقد طابت
نفسي على الموت ثم انها فتحت قيود عين اهله وقطعت وثايقه وتنا
ولت سكينا فقال لها عين اهله لين تركتك تقتلين نفسك لقد
شركت في دمك وانتزع السكين من يدها وقال لها

صورة عين اهله قابضا على يد العجوز وبيدها السكين

اذهبي معي لكي ننجو معا او نعطب معا فقالت له ان كبر سني وضعف
بصري بدني ليمنعاني من اتباعك والهرب معك فقال لها ان الليل متسع
والموضع الذي نامن اليه اذا وصلنا قريب وبي قوة على حملك فقالت
العجوز اما اذا عزمت على هذا فاني لا احوجك على حملي ما دامت لي مسكة
فخرجا معا فلم ينقضي الليل حتى بلغا الى حيث امنا فجزاها عين اهله
خيرا بما صنعت واتخذها اما يسمع لها ويطيع فهذا ما بلغني من ذلك

alkoutob.blogspot.com

فقال

فقال المطران ما اعجب احاديثك ايها الحكيم الراهب ولقد وددت ان
لا افارقك ابدا وان سفري هذا يطول لتطول متعتي بك ويعظم حظي
من انسك ولقد استعذبت مفارقة الاهل والوطن لقربك ونهض كل
واحد منهما الي مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل
امثاله ففهم ان الغزال مثل لسابور وان الظبي مثل للوزير وان
خروج الظبي مع الغزال مثل لصحبة سابور وزيره حتي حصل سابور
في حبس قيصر وان نفار الغزال عن الظبي لسوظن سابور بوزيره
لتاخره عن استنقاده وعرف ان الوزير قد عزم علي تخليصه والخروج
به الي المدينه ليلا وان المدينه قريبه وانه يحمله ان عجز عن المشي
فايقن سابور بقرب الفرج ولما كانت الليلة القابله تلطف وزير
حتي دخل الخيمة التي يطبخ فيها الطعام للمطران وللموكلين بحفظ
سابور علي حال خلوة فالقي في جميع الاطعمه مرقدا قويا في فعله

صورة وزير سابور يلقي المرقد في الطعام

alkoutob.blogspot.com

ولما حضر الطعام انفرد الوزير باكل زاده على ما جرت به عادته
فلم يكن الا ساعه حتى استحوذ المرقد على جميعهم فانخدلوا في مواضعهم
صرعى على مراصدهم و مضاجعهم وبادر الوزير الى فتح باب الصوره
عن سابور واستخرجه وازال الجامعه من عنقه ويديه وتلطف
حتى اخرجه من عسكر قيصر وقصد به جندي سابور وهي مدينة ملكه
فانتهيا الى سورها معا فصرخ بهما الموكلون بالاسوار حراسة
فتقدم الوزير اليهم وامرهم بخفظ اصواتهم وعرفهم بنفسه واعلمهم
بسلامة ملكهم صورة سابور ووزيره يخاطب الذين على سور المدينه

فابتدروا وادخلوهما المدينه فقويت نفوس اهلها وامرهم سابور
بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان ياخذوا اهبتهم فاذا
ضرب الروم الناقوس الاول خرجوا من المدينه واقتربوا من عسكر الروم
وقاموا على تعبية وتاهب فاذا ضرب الناقوس الضرب الثاني حملوا
باجمعهم كل فرقة على ما يليها فامتثلوا امره وانتخب سابور كتيبة عظيمه

alkoutob.blogspot.com

فيها

فيها اشجع فرسانه وقام معهم فيما يلي الجهة التي فيها اخبية ملك
الروم فلما ضربت النواقيس المرة الثانية حملوا من كل جهة وقصد
سابور اخبية قيصر ولم يكن الروم متاهبين لعلمهم بضعف الفرس عن
مقاومتهم وانهم قد سدوا ابواب مدينتهم فما شعروا حتى دهمتهم
الفرس واخذ سابور قيصر اسيرا وغنم عسكره واحتوى على خزائنه

صورة كسرة قيصر

ولم ينج من الروم الا القليل وعاد سابور الى قرار ملكه فقسم الغنائم
بين اهل مملكته وافاض الصلات على جميع من في مدينة جندي سابور
بقدر احوالهم واحسن الى حفظة ملكه وسائسهم وفوض جميع اموره
الى وزيره الذي خلصه ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال
له اني مبق عليك كما ابقيت علي وغير مجازيك بتضييق محبسي
ولكني آخذك باصلاح جميع ما افسدت من ممالكي فتبني ما هدمته
وتغرس مكان كل نخلة قطعتها زيتونة وتطلق كل اسير في مملكتك

alkoutob.blogspot.com

من ساري الفرس فضمن ذلك كله ووفى له به ولما انتهى في الاصلاح
الى ما انثلم من سور مدينة جندي سابور قال لقيصر انما تبنيه من
تراب بلادك فامر قيصر رعيته من الروم بحمل التراب من بلادهم
الى جندي سابور فرقع به ما انثلم من سورها ولما
اتم لسابور ما اراد من ذلك كله احسن اليه واطلقه
الى دار ملكه بعد ان قال له خذ اهبتك
واستجد عدتك فاني غاز بلادك
عما قريب قال محمد عفى الله
عنه قد بلغت هذه السلوان
الغاية التي يحملها
هذا الكتاب
فالحمد لله على
ما يسر من
ذلك
م

alkoutob.blogspot.com

السلوانة الثالثة

قال ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين لديه ونبيه العزيز
عليه واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق
مما يمكرون وهذا لما تالب المبطلون عليه وقصدوا بالمكر
والمكروه اليه كما اخبر الله سبحانه بقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وكان روساء قريش اجتمعوا
في دار الندوه ليتشاوروا في امر النبي صلى الله عليه وسلم واتاهم
ابليس في صورة شيخ اعرابي فارادوا اخراجه عنهم فقال لهم
اني من اهل نجد ولا عين عليكم مني وقد بلغني ما اجتمعتم
له ولعلكم لا تعدموا من محضري خيرا فاخذوا في تشاورهم
فقال عتبه اري ان تخرجوه من بين ظهركم فان ظفر كان ظفره
حظا لكم وان قتل كنتم قد كفيتم امر دمه فقال ابليس ما هذا راي
اما سمعتم حلاوة منطقه واخذه قلوب الناس فلا تامنوا ان يقع
في حي من احياء العرب فيستفسد اهواهم ويسير بهم اليكم حتى
يفرق جماعتكم فقال الآخر منهم اري ان يوثق ويحبس حتى ياتيه اجله
وهو في حبسه فقال ابليس ليس هذا راي اما علمتم ان له اهل بيت
واتباع لا يرضون بهذا منكم فيقع الحرب بينكم ويهن امركم ثم قد
تكون الدايرة عليكم فقال ابو جهل الراي ان ناخذ من كل قبيله من قبايل
قريش شابا جلدا ونعطي كل شاب منهم سيفا وياتونه في مضجعه

alkoutob.blogspot.com

فيضربونه ضربة رجل واحد فلا يقدر اهله يطالبوا بدمه جميع
القبايل اذا تفرق دمه فيها فقال ابليس لقد اصاب الراي فتفرقوا
على راي ابي جهل واوحى الله سبحانه الى رسوله عليه السلم يعرفه
مكرهم ويامره بالهجرة الى طيبه وجاء الذين تخيروهم من القبايل
للفتك برسول الله صلعم الى منزله من اول الليل فامر النبي صلعم
عليا رضي الله عنه ان يلبس برده الاخضر وينام على فراشه
واعلمه انه لا يصل اليه من قريش مكروه فالتحف علي ببرد النبي
صلى الله عليه وسلم ونام على فراشه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم
من بيته والقوم على الباب فقرا اوايل سورة يس والقران الحكيم
واخذ كفا من تراب وجعل يذره على رووس القوم وهم لا يرو وانصرف
صلى الله عليه وسلم متوجها نحو الغار وجعل المشركون ينظرون
الى علي في مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برده الاخضر
فيقولون هذا محمد نايم ولا يطيقون الدخول عليه حتى اصبحوا وقام
علي رضي الله عنه فنظروا اليه فاتوه وقالوا اين محمد فقال لا ادري
امرتموه بالخروج فخرج فحبسوه في المسجد ساعة ثم تركوه ٥

خبر نبوي في الصبر

مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم خليل المومن والحلم
وزيره والعقل دليله والعمل قايده والرفق والده والبر اخوه والصبر
امير جنوده فناهيك بخصلة تتامر على هذه الخصال وليس المراد
تفضيل الصبر على العقل والعلم وما ذكر من الخصال معهما ولكن المراد
ان بالصبر يكون الثبات على هذه الخصال لمن اتصف بها لان معنى

alkoutob.blogspot.com

الصبر الثبات والحبس والامساك فمن تصف بشي من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه والملازمه له كان عند مزايلته كمن لم تتصف به فالصبر لهذه الخصايص الشريفه ضابط ضبط الامير جنوده عن مزايلة مراكزها والاخلال بما يصيب له من اندفاع وانتفاع منثور ومنظوم من الحكم في الصبر روي ان عليًا رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبوا وقيل ان مما كتب في الصحيفة الصفرا المعلقه في اعظم هياكل الفرس كما ان الحديد يعشق المغناطيس فكذلك الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر اعلم رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومظله دليل وان الصبر درج يفضي بمن عرج الى الفرج وان اقل فضايل الصبر على البلية ان الصابر عليها يغص لذة عدوه المتشفي والشامت به والصبر صبران صبر العامه وهو عمل الاشباح وصبر الخاصه وهو عمل الارواح وقد احكم هذا المعنى حبيب ابن اوس فقال

• لباس سرد الصبر مدرع له في الحادث الجلل ادراع اللام •
• والصبر بالارواح يعلم فضله صبر الملوك وليس بالاجسام •

وقال ايضا

واذا رايت اسى امرا وصبره يوما فقد ابصرت صورة رايه

وقال نهشل

ويوم كان المصطلين بحره وان لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يبوح وانما تفرج ايام الكريهة بالصبر

وقلت انا

على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

alkoutob.blogspot.com

ومن قل فيما يتقيه اصطباره   فقد قل مما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم

الصبر اولى بوقار الفتى   من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله   كان على ايامه بالخيار

وقال عمرو

ومقعد كربة قد كنت منه   مكان الاصبعين من القبال
صبرت له وكنت اخا حفاظ   اذا جاء الليام على النزال
فهذا والمنية من ورائي   ستطرقني بها احدى الليالي

قال محمد عفى الله عنه هذا انموذج من القول في الصبر على الجملة وهو يتنوع انواعا والنوع اللايق بكتابي هذا هو صبر الملوك وصبر وصبر الملوك عبارة عن ثلث قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو والقوة الثانية قوة الكلاة والحفظ وثمرتها عمارة المملكه والقوة الثالثة قوة الشجاعه وثمرتها في الملوك الثبات واما ثمرتها في حماة المملكه من المقاتله من الاقدام في المعارك ولا يراد من الملك الاقدام في المكافحه فان ذلك من الملك تهور وطيش وتغرير وانما شجاعة الملك ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا مادام بحضرته من يثق به يذب عنه ودفاعه دونه وحمايته له فلقد ذكر ان فيلا اغتلم اي هاج شبقا فدخل قصر كسرى انوشروان والفيل اذا اغتلم انكسر سواسه ولم يثبت له شي الا اتى عليه قالوا وان ذلك الفيل اتى مجلسا كان فيه كسرى ومعه جماعة من كفاة اصحابه فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل قد قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى على سريره

alkoutob.blogspot.com

32

وثبت معه رجل من اساورته كان مكينا عنده يثق بثباته
فقام ذلك الاسوار بين يدي كسري وبيده طبرزين وقصده الفيل
صورة كسري على سريره وامامه الرجل بيده الطبرزين والفيل قاصدهما

فثبت له حتى غشيه فضربه بالطبرزين على فنطسته فكر الفيل راجعا
من حيث جا وقد نالت منه الضربة منالا شديدا وكسري لم يتحلحل
عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقه وقاره فهذه غاية الشجاعة
المطلوبة من الملك فاذا لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه
حسن حينيذ ان يذب عن نفسه اما بالاقدام على العدو ان غلب
على ظنه الامتناع منهم بالاقدام عليهم او بانهزامه ان تاتاه ما لا قبل
له به واشفق من عطب رعيته بهلكه كما حكي ان موسى الهادي كان
يوما في بستان ومعه اهل بيته وبطانته وهو راكب على حمار وليس
معه سلاح فدخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا من الخوارج جي به
اسيرا وكان الهادي حريصا على الظفر به فامر بادخاله بين رجلين

alkoutob.blogspot.com

قد امسكا يديه فلما رأى الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين
الذين كانا يمسكانه واخترط سيف احدهما ووثب نحو الهادي
صورة الهادي راكب على الحمار والخارجي قاصدا اياه بالسيف

ولما رأى ذلك من كان حول الهادي من اهله وخاصته فروا جميعا وبقي
الهادي وحده على حماره بمكانه حتى اذا قرب الخارجي منه وكاد ان
يعلوه بالسيف قال الهادي اضرب عنقه يا غلام فالتفت الخارجي
حين سمع ذلك فوثب الهادي عن سرجه فاذا هو على الخارجي وسقط
الخارجي تحته فقبض الهادي على يده وانتزع منه السيف فذبحه به
ثم عاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته واهله يتسللون
وقد ملئوا منه رعبا وحياء فما خاطبهم في ذلك بحرف واحد ولم
يكن بعد ذلك يفارقه سيف ولا يركب الا الخيل فقد جلا عنك الخبر
ما ايد الله به موسى الهادي من ثبات الجاش واصالة الراي وشدة
الكيد وشجاعة القلب وقوة البدن رحمة الله عليه

alkoutob.blogspot.com

اوحند

33

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل وصف لكسري انوشروان ارض من التخوم الهنديه تتاخم اقليم بابل
فذكرت له بحسن المنظر وطيب الهوا والماء وكثرة الاتاوه وزكاة الاثمار
وكثرة العماير وحصانة المعاقل ووصف له اهل تلك الارض بعظم الجسوم
وبلادة الفهوم وشجاعة القلوب وقوة الابدان والصبر على العماره
وملازمة الطاعه ولين المقاده فشرهت نفس كسري الي تملك تلك
الارض والتكثر باهلها وكان يقال الشره اعرف الخصايل في اللوم
فالحرص ابوه الذي يولده والبغي ابنه الذي يلده والطمع شقيقه
والذل رفيقه وكان يقال من شره وقع فيما كرهه وكان يقال
الشره شرة ينتجها طبع ويهيجها طمع قيل فلما طمحت نفس انوشروان
الي تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر بانه عظيم من ارا كنة
الهند وانه شاب منقاد لشهواته مقبل على لذاته الا انه سالك
سراطا من العدل لا يجود ومالك منهلا من البذل لا يغور الي رافة
برعيته قد اشربت قلوبهم وده وصرفتا مالهم الي ماعنده فندب
له كسري رجلا من ثقات اصحابه قد اقتبس ادبا من اداب الملوك
وتفقه سياساتهم وكان ذا دهاء وفكر وحزامه ومكر فامره بتامل
مسالك تلك الارض والبحث عن ثغورها ومعاقلها وتطلب
عوراتها وتفقد اخلاق ملكها واهلها وكتب معه كتابا الي ذلك
الاركن يدعوه الي الدخول في طاعته ويحذره التعرض لصولته بحجا لغته
فانطلق ذلك الرسول حتى قدم على الاركن فاحسن نزله وبالغ في

alkoutob.blogspot.com

بره وتكرمته وعمي عليه الاخبار وبالغ في قبضه عن التصرف
وفي قبض الناس عن لقايه واحتجب عنه ولم يستدع الكتاب منه
وندب لاختباره وعلم ما قصد له رجلا من دهاة اصحابه فامره
بالتجسس على انبايه والتلطف في مداخلته ومخاتلته فانطلق
ذلك الجاسوس فاكترى حانوتا بحدا دار الرسول وملاه فخارا
وجلس فيه لبيع ذلك الفخار وكان للرسول غلام يخف في حوايجه
ويتصرف في ماربه فجعل الجاسوس اذا راى الغلام هش له واكرمه
وسآله عما له من حاجة الى ان انس به الغلام فكان يجلس اليه ويستعين
به على امره فلبث بذلك مدة لا يسله عن شي من امر سيده فلما
تاكد انس الغلام به قال له يوما من اين تكون ومن لك في هذه الدار
التي تدخلها فقال الغلام صحبتني منذ كذا وكذا ولا تعرفني فقال
الجاسوس وما علي فقال له انا غلام رسول كسرى وسيدي في هذه
الدار صورة غلام الجاسوس وبايع الفخار

alkoutob.blogspot.com

فقال الجاسوس ومن كسري ومن رسوله فقال الغلام كسري ملك بابل
ارسل سيدي الي ملك ارضكم فقال الجاسوس قد عرفت حين ذكرت
بابل لاني كنت في صباي اجيرا لرجل من اهل بابل ثم امسك عن الغلام
اياما لا يسله عن شيء وكان يقال السفير تسفير وقيل السفير يريب
الاريب وقيل من تسرع في الامانه فلا لوم على من اتهمه بالخيانه ومن
تسرع الي المشاركه في السر فلا لوم على من اتهمه بالاذاعه ومن تنصح
قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه بخبث الطباع قيل ثم ان الجاسوس
قال للغلام يوما اذا خرج مولاك فارني اياه فقال الغلام ان مولاي
لا يتصرف فقال الجاسوس امريض قال الغلام لا ولكن ملككم
حظر عليه الخروج وعلى الناس الدخول اليه فبكى الجاسوس فقال
الغلام له ما الذي ابكاك فقال له ابكتني الرحمه لمولاك مما هو فيه
لاني ابتليت بمثله وذلك اني حبست مرةً في دين كان علي ومنعت
امراتي من الدخول الي فلولا ان الله منَّ علي برجل كان محبوسا معي
فكان يسليني بحديثه وانسه لهلكت غما فهل يحدث مولاك وتسليه
فقال الغلام اني لا اعرف هذا ولا ادري خبرا اطرفه به فقال
الجاسوس له افلا ادلك على ذلك قال الغلام بلى فاحسن الي به فقال
له الجاسوس اذا خرجت من عند مولاك فطف في المدينه وتامل ما تراه
فيها واذا رايت جماعةً يتحدثون فاجلس اليهم واستمع ما يفيضون فيه
فاذا رجعت الى سيدك وخلوت به فقل له رايت اليوم كذا وسمعت
اليوم كذا وكذا فان في هذا تسليةً له وانسا من وحشته ويوشك
اذا فعلت ذلك ان تحظى به عنده ففعل الغلام ما امره به الجاسوس

alkoutob.blogspot.com

فقال له سيده من اين لك هذا ومن دلك عليه فقال له الغلام انا
فطنت له ففعلته فقال له سيده كلا ليس هذا من قوى عقلك
فاخبرني بمن دلك عليه فقال له الغلام دلني على ذلك جار لنا بيع
الفخار ما رايت اجهل ولا ابله منه فقال له سيده ما الذي دلك
على جهله وبلهه فقال الغلام انه صحبني اكثر من شهر وهو لا يعرف
من انا ولا من سيدي وذكرت له الملك كسرى فاذا هو لا يعرفه

صورة الجاسوس في المنزل وغلامه يخاطبه

فلما سمع الرسول استراب به وحدس انه متجسس عليه لما راى انه قد
افرط في تجاهله وكان يقال من افرط لمن فرط ومن احتفل في غلوه
استقل عن علوه وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال ولا هتك
قناع المعقول كمساع المقول وكان يقال من لا يعرفك غايبا ادناه
لم تعرفك شاهدا عيناه قيل فلما سمع الرسول مقالة عبده امره ان
ياتيه به ففعل ولما راه الرسول حقق ما كان ظنه به من كونه جاسوسا

alkoutob.blogspot.com

عليه

35

عليه فاكرمه وقربه وتظاهر له بغباوة وجهل لا مزيد عليهما
وسأله ان يواصل زيارته ولبث الجاسوس متفقدا احوال الرسول
في ليله ونهاره مدة متراخيه ولما ظن ذلك الجاسوس انه قد حصل
ما اراد علمه من امر رسول كسري ذهب الي الملك فاخبره ان ذلك
الرسول قدم لا ذكا له ولا غنا عنده اكثر من انه ذو نجده وفروسيه
فوثق الملك بقوله وتخيل الرسول بالصورة التي مثله بها الجاسوس
عنده وكان يقال لا يكن سمعك لاول مخبر ولا ثقتك لاول
مجلس وكان يقال اذا كان الخبر يدخله الصدق والكذب فالقضا له
باحدهما قبل الامتحان جور وكان يقال انما يقضي بصدق الخبر
عصمة المخبر لا صدقه وشرح ذلك ان المخبر الصادق اذا لم يكن
معصوما فهو عرضة للتلبيس وفرصة للتدليس وكون المخبر ثقة
صدوقا انما تفيد سلامته من التحريف فيما نقله ولا تفيد عصمة
ادراكه فيما ادركه فقد ينظر الصادق لمغفل الي الشمس فيخبر
بانه ادرك سرعة سيره وينظر من سفينة جاريه الي البر فيظن ان
البر يجري وينظر الي افعال الشعودي فيخبر عن الاشياء بخلاف
ما هي عليه ويسمع كلام الببغا المحجوب عن بصره فيخبر عن انسان
فلم يدخل الخلل من جهة تحريفه لكن من جهة ادراكه قيل فلما
وثق الاركن بمقالة جاسوسه احضر رسول كسري واكرمه وخاطبه
بكل قول حسن واخذ منه الكتاب وخلع عليه واجزل صلته ورده
الي منزله مكرما مبرورا واباح له التصرف واذن لمن اراد قصده
في زيارته وتابع اتحافه وتكرمته ولبث بذلك عاما ثم استحضره

alkoutob.blogspot.com

وسلم اليه جواب كتابه واعطاه هدية الى كسرى يقال ان من جملتها
سيفا طوله خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد
كما يعمل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت الازرق
يسع منا من الطعام وكاسا من الزمرد البحري يسع رطلا من الشراب
والقدره فريده وقنديلا من المها فيه ياقوته حمرا كبيضة الحمام
اذا علق في بيت فيه مصباح ليلا القى شعاع الياقوته على الالوان
القابله للحمره فلا يشك في حمرتها وطيبا كثيرا ودروعا ودرقا
وغير ذلك وخص الرسول بحباء وذخاير نفيسه وصرفه الى
مرسله فلما قدم الرسول على كسرى ساله عما ندبه ليتعرفه
فاخبره بطيب تلك البلاد وفضايل خصايصها وشرف مزاياها
وحصانة ثغورها وانه لم يجد لها عورة توتي منها الا غرارة
سكانها فان عقولهم متهيه لقبول الخدع محجوبه عن النظر في العواقب

صورة كسرى والرسول يخاطبه

alkoutob.blogspot.com

وان

وان هذا موجب حسن طاعتهم لمن الفوا طاعته فلو ندب اليهم رجالا
يحسنون نصب الدعوات الى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم
عن ملكهم فاذا انصرفت طاعتهم لم يقم لملكهم بعد ذلك قايمه
لانهم اعضاده الذين يصول بهم فهم في الرخا ثمار مجتناه وفي البلا
سيوف منتضاه فنظر كسرى فيما كتب به اليه الاركن فوجده قد خا
بالملاطفه واعترف بفضله وتملقه ورغب اليه في الموادعه والمواخا
واستشار انوشروان وزراه في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب
بمسالمته فاختلفوا عليه فاجمع على ان يرد هديته اليه ففعل
ثم انه ندب لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات وقلب
الدول وامدهم بالاموال وازاح عللهم وبين لهم مثالا يحدون
عليه فنفذوا لما امرهم به حتى انتهوا الى مملكة ذلك الاركن
فتفرقوا فيها وعمل كل واحد منهم فيما انتدب اليه فلما اتى عليهم عامان
احكموا ما ارادوا من ذلك في دار ملكه وفي غيرها من مدنه وحصونه
ورساتيقه وكتبوا بذلك الى كسرى فحرك اليهم المرزبان المتولي ربع
المملكه المقابل لتلك الجهة الهنديه وذلك ان اقليم بابل كان مصروفا
الى اربعة مرازبه لكل مرزبان منهم ربع منه ومع كل مرزبان منهم
خمسون الف فارس فلما شرع ذلك المرزبان في الحشد والاعداد كتب
عيون الاركن بتلك الجهه اليه يخبرونه بان المرزبان المجاور لجهة
بلاده قد اخذ في حشد الاجناد وتاهب للاستعداد فعلم الاركن انه
قاصده ونجم النفاق ببلده وتحدث الناس بقصد المرزبان واكثروا
الاراجيف فانتبه الاركن من غفلته وبحث عن الامر فوقف على حقيقته

alkoutob.blogspot.com

وكان امر مملكته يدور على خمسة رجال منهم اربعه وزراه والخامس
هو صاحب بيوت النار ورئيس الزمازمه والذين ياخذون عنه
دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم ما بلغه من فساد قلوب رعيته
وحشد المرزبان لقصد بلاده واظهر لهم الحاجه الى كفايتهم فجلسوا
يتناظرون في ابتغاء صواب الراي

صورة الاركن ووزراه الخمس

فقال احد الوزراء الاربع الراي ان يستصلح الملك رعيته فيملا ايديها
رغبة وقلوبها امالا حتى يستقيم معوجها ويانس نافرها فان عدونا
اذا علم بذلك جبن عن الاقدام علينا وان قدم لقيناه بكلمة مجتمعه
وايد متناصره فقال رئيس الزمازمه انما يصلح هذا من رعيتنا لو كان
فسادها انما اوجبه هضم جور وعسف سيرة فيزال عنها سبب فسادها
فتصلح وليست رعية الملك بهذه الصفه وانما ورد عليها الفساد جهلها
بمواقع الصواب وبطرها لترادف النعم وقد قيل اربعه اذا افسدهم
البطر لم تردهم التكرمه الا فسادا الولد والزوجه والخادم والرعيه

alkoutob.blogspot.com

وضربوا

37

وضربوا لذلك مثلا لقوى الاربع المردوله اذا هاجت لتعدي
حدود المصلحه وهي الغضب اذا تعدى حد الشجاعه وحد الانفة
من الرذايل والحرص اذا تعدى حد الكفايه والكسل اذا تعدى
حد راحة الجسم من كد اكتساب المصالح فان هذه القوى
اذا تعدت هذه الحدود لم يزدها المداراه والرفق الا هيجانا
وطغيانا وانما تعاني بحسم موادها فقال الملك صدق الحكيم
ثم قال وزير اخر من الاربعه الراي عندي ان نضرب بمن صلح
من الرعيه من فسد منها حتى يستقيم لنا ثم نلقى عدونا بمن
لا نخاف دغله ولا نحذر غشه لانا مضطرون الى الحرب لكون
عدونا لا يرضيه الا باخذ ما بايدينا جمله فقال رئيس الزمازمه
هذا انفع لعدونا من جيشه وادعى الى طاعته من دعاته مع انه
اذا علم تحزبنا فيما بيننا وتناصبنا ذهبت هيبتنا من نفسه وبلغ فينا
امله وقد قالت الحكماء اربعة من استقبلها بالعنف والردع في
اربعة احوال هلك بها الملك في حال غضبه والسيل في حال مده
والفيل في حال غلمته والعامه في حال هيجانها وقالوا ان اشبه
شي بردع العامة عند تنمرها وهيجها معاناة الجدري في حال
انبعاثه الى سطح الجسم بالاطلية الرادعه فقال الملك
صدق الحكيم فقال وزير ثالث الراي عندي ان نطلب تعيير
من فسدت طاعته من رعيتنا فنميزه عمن سواه ثم نرى راينا
فيه بما يقتضيه حاله من قلة اوكثرة وضعة اونباهة
وضعف وقوة فنقابله بما توجبه حاله من التدبير فقال

alkoutob.blogspot.com

ريس الزمازمه البحث الان عن هذا خطر عظيم لانه يوحش المريب فيحركه على اللحاق بعدونا واعتماده بالنصايح ودلالته على عورتنا واذا التحق بعدونا قاتل معه على بصيرة ليست لعدونا وبذل جهده في العود الى وطنه واهله وماله وعدونا لا يقاتلنا على مثل ذلك وربما لم ينفصل عنك المريب بل يقاومنا بموضعه ويكاشفنا ويكثر علينا بشكله من الرعية فيبصره وان لم يكن على مثل رايه بعلة مشاكلته له كما ان الكلبين لا يمنعهما تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذيب اذا ابصراه ولا يلتفتان الى تحقق الذيب في الخلق الكلبي ولكنهما ينافرانه ويصطلحان في التعاون عليه نظرا الى خصيصتي توحشه وانفته وجراته وكذلك العامي لا ينظر الى الملك من حيث تحققه في الخلق الانساني بل ينظر اليه من حيث خصيصتي تفرده وانفته وعلو همته فينافره لذلك ويالف العامي الذي يشاكله في الاخلاق بعلة المشاكله وقد قالت الحكماء ثلثة ان كاشفتهم بالامتحان في ثلاثة احوال خسرتهم مودتك في حال استقلالك وصديقك في حال اختلالك وامراتك في حال اكتهالك والرعية كالزوجه وادبار الدوله كالاكتهال وقالوا مثل ذلك مثل امتحان معد الناقهين من الامراض بالاطعمة الغليظه فقال الملك صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان اوسعهم علما وافضلهم رايا اما انا فاحدث الملك حديثا اخبرني به مودبي وكان من اخر ما افادني وقال لي اخزن هذا الحديث في حبة قلبك ولا تتمنى ان تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه اليه واني لاحسبنه هذا اليوم فقال له

الملك

alkoutob.blogspot.com

الملك قل نسمع لحديثك فقال رئيس الرمازمه ما اولاه بالاصابه
فقال الوزراء الثلاثه انه لكذلك فقال الوزير الرابع انما نحن في خدمة
الملك كاصابع الراحه في افتقار بعضنا الى بعض وقوة بعضنا ببعض
وتزين بعضنا ببعض ثم اننا نستمد من نور عقل الملك السعيد
بنظرنا اليه كما تستمد الدراري من نور الشمس فكلنا الى الملك محتاج
وبه مقتدي فقال الملك قل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامه
لك ولمن تنبت عنه فانتم في مناصحتنا والغناعنا والادا الينا
كالحواس الخمس للقلب فسجدوا له اجمعون ثم قال ذلك الوزير الرابع
زعم مودبي ان رجلا من التجار كان ياوي من داره الى بيت مبطن
السقف وفيما بين ذلك السقف وبطانته فيران كثيره فكن
فيما شين وادعين من الامنة وتيسر الطعمة يمرحن لهنا ركله على حال
طمانينة فاذا جاء الليل نزلن من السقف فتفرقن في محازن لنا حجر

صورة بيت التاجر وبه الفيران

alkoutob.blogspot.com

ومساكن عالية واحتملن فكثر اذاهن على التاجر وانه دخل يوما
مسكنه ذلك فاستلقى فيه مفكرا في بعض امره وجعلت الفيران
تمرح على بطانة السقف والتراب يتساقط من خلل الالواح فتضجر
التاجر ونهض مبادرا وامر بتحويل ما في البيت من الاثاث ثم امر عبيده
فوضعوا بطانة السقف وانتشر الفيران في الدار فقتلن شر قتلة ولم
ينج منهن الا جرذ وفاره كانا غايبين عن السقف فلما رجعا وابصرا فساد
وطنهما ومصارع الفيران في جميع الدار غمهما ذلك واقبل الجرذ على
الفاره وقال لها صدق القايل من صحب الدنيا واتقابها كان
كقايم في الظل الذي يكون قبل بلوغ الشمس الى نصف ابرة فلكها
الاعلى فيتقلص الظل عنه بتصويب الشمس فيوقظه حرها ولا يجد
للظل عينا ولا اثرا فقالت الفاره صدقت فماذا ترى قال الجرذ
ارى ان لا نسكن بموضع ينال منه هذا المنال وافر من الانس جهدي
فان هيجهم شديد وحيلهم امضى من قوة غيرهم من العوالم فقالت
الفاره انا معك اين ما توجهت فانطلقا حتى اذا اتيا ارضا براز اجردا
ذات اخلاط من الوحوش تكنف واديا معشبا فيه غدران ما ذات
ضفادع وسلاحف فاعجبهما ذلك وسارا في الوادي يلتمسان موضعا
يحتفران فيه جحرا فانتهيا الى ربوة عاليه في وسط ذلك الوادي قد
انجاب عنها مسيل الماء فيه يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل تلك الربوه
جحرا ارضياه واوطناه وانهما علوا يوما من الايام تلك الرابيه فرايا
في اعلاها يربوعا قد علت سنه على باب جحر له فرحب بهما وحادثهما
وسالهما عن امرهما فاخبراه الى ان ذكرا له انهما اوطنا جحرا في اصل

alkoutob.blogspot.com

تلك

تلك الرابيه فقال لهما اليربوع لولا ان النصح كثيرا مما يدعو الى التهمه لنصحت لكما فقالا له ما احوجنا الى نصحك فقال لهما انه كان يقال اربعة لا تقدم عليها حتى تسال عنها الخبير بها

صورة اليربوع في راس الرابيه والجرد والفاره صعدا اليه

السوق لا تقدم عليه حتى تسل عن النافق والكاسد فيه والمراة لا تقدم عليها حتى تسل عن منصبها وخلقها والطريق لا تسلكها حتى تسل عن امنها وخوفها والبلده لا توطنها حتى تسل عن مرافقها وسيرة سلطانها واخلاق اهلها وقوة من يكيد اهلها ويعاديهم وكان يقال انظر الى المنتصح فان اتاك بما يضر غيرك ولا ينفعك فاعلم انه شرير وان اتاك بما ينفعك ويضر غيرك فاصغ له وعول عليه وكان يقال ان لم تعن ناصحك على نفسك كان ناصحك كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب معوجا قبل ان يقيم العود في منصبه وكان يقال اذا اردت ان تعلم ما يغلب على الانسان من قوى الخير والشر

alkoutob.blogspot.com

فاستشره يدلك رايه عليه اصح دلالة وكان يقال شر ما في عالم
الاخلاق التعاطي لان التعاطي يزيد المتعلق به شرا ويغوصه في
مواسم الخزي فهذا كالضعيف يتعاطى القوه وكالجاهل يتعاطى العلم
وكالفقير يتعاطى الغنا وكان يقال اذا احتجت الى المشاوره في امر فشاور
ذوي الحنكة والتجربه من طبقتك وذوي صناعتك ولا تعدل عنهم
الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فيخرجك عن حدك لكونه خارجا عن
عالم خصايصك واعلما انه قد جمعني واياكما مناسبه صناعيه وهي
حفر الحجرة الا اني في علمها ارسخ منكما فانتقلا عن جحركما فانه بيس
الجحر ومن شر الاوطان وانا ابن بجدة هذه الارض والخبير بها وقد قيل
قتل ارضا خابرها فتحولا عن ذلك الجحر واطلبا ماوى غيره فخرجا
من عند اليربوع يهزان به ويسخران منه وينسبانه الى الهرم والخرف
ورجعا الى جحرهما فلبثا به مدة طويله وولدا فيه اولادا ثم ان الجرد
خرج يوما من الايام فاوغل في تلك الارض لبعض شانه ثم عاد قاصدا
الى الربوة فاذا السيل قد جرى في ذلك الوادي فاحدق بالربوة وارتفع
حتى صارت الربوة مثل البحر العجاج فوقف على صفة الوادي ينظر متحسرا
لفساد وطنه وهلاك الفه وولده وذهاب ما اعد من طعمته وراى
اليربوع قايما على الربوة امنا فناداه اليربوع ايها الجرد كيف وجدت
ثمرة اضاعة الحزم ومعصية الخبير النصح قال الجرد وجدتها مرة
فقال اليربوع للجرد هون عليك وخفض من حسرتك فان النعمة في بقا
نفسك تربي على المصيبه باهلك وولدك فآنس النعمة بالشكر تالفك
فتستمتع بها وانه كان يقال اظهر البشر لثلاثة للصديق والغريم

alkoutob.blogspot.com

والنعم

والنعمه وكان يقال الحر لا يذهله اساة من كان احسن اليه عن
شكر احسانه السالف عنه ودم على شكرك له وتركك به فان
ذلك اوجه شفيع لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان اشقاني
ايها الحكيم بمعصيتك والبعد عنك ولحق قبل ينبغي للعاقل
ان يصحب العلماء المهذبين بالحكمة والآداب ولو كنت ذا بصيرة
لعلمت انك ايها الحكيم لم تكلف نفسك صعود هذه الربوة الكوود
وهبوطها على ضعف بدنك وكبر سنك الا لامر اقتضته الحكمه
واوجبه الراي المصيب ثم ان الجرذ اهمل حتى ذهب السيل فصعد
الى الربوه واتخذ جحرًا الى جانب جحر اليربوع فاوطنه امنًا قرير
العين فهذا ما اخبرني به مودبي فقال الملك صدقت ايها
الوزير قايلًا وسددت ناصحًا واصبت مشيرًا وتلطفت مبلغًا
ودعوت سميعًا فالتمس لنا ربوة نرضاها لاستقرارنا نلزم
الصبر نفسنا على صعودها ونقضي ما فيها على ما نوف ملاذها
وانبساطها في هذا العالم الجيب اليها فلعلنا ان نجتني السلامه
التي اجتناها اليربوع من سيل هذه الفتن فقال الوزير ايها الملك
السعيد المفدي بالنفوس الزكيه عشت ما بدا لك ان تعيش ونلت
ما املت فما اعجب حلمك واني قبولك ما نهديه لك من نعمك
ونجلوه عليك من حكمك واني لا اعرف في ناحية ممالكك معقلًا
تطل فيه على اهل الارض اطلال زحل على الكواكب تقاتل دونك
الابصار اللامحه والافكار الطامحه وهو مع ذلك ذو هواء عليل
وماء سلسبيل وحدايق باسقه ومرافق متناسقه وكان نعض

alkoutob.blogspot.com

سلف الملك عني به بعض العنايه وقطع عليه امله الدثور الحتم
القاطع عقود الحياة فلما سمع الملك ما دله عليه وزيره ملي سرورا
وركب من فوره في خاصته وثقاته حتى انتهى الي ذلك المعقل
صورة الملك راكب في خاصته مشرف على المعقل

الذي دله عليه وزيره فوجده في راي العين افضل مما صوره له الوزير
في نفسه ووجد به رسوما وثيقه واثارا اثرها بعض من تقدم
من ابايه فحشد اليه المهندسين والبنايين والعمال وامرهم بالجد
في اكماله وبادر من فوره فنقل اليه خاص بيوت مواله وخزاين
سلاحه ونفايس ذخايره وحشد عيته بحمل الارز اليه فاودعوه
من الارز المقشر وغير المقشر ما ظن ان فيه كفايه وذلك ان الارز
الذي لم يقشر طويل البقاء واعد لنزوله عدته وهو مع ذلك
يسد الثغور ويجند الاجناد ويشيد الحصون فلما مضت له ثلثة
اشهر من يوم كتبت له جواسيسه بحركة المرزبان وحشده اقتحم

alkoutob.blogspot.com

المرزبان

المرزبان ثغوره في الجيوش المتوافره والعدة الكامله وظهر دعاة
كسرى بتلك الناحيه فيمن استفسده من الرعيه فغلبوا على
ما يليهم من البلاد واستعمل عليها عمالا من ثقاة اصحابه ورتب
فيها حماة جنده ومن اهلها ثم دنا يطوي الارض فوافقته جيوش
الاركن فدافعته بعض الدفاع ثم انهزم من كان في نفسه دغل
فانهزم المناصحون بانهزامهم واستولى المرزبان على عسكرهم

صورة الحرب بين الجيشين

واستبقى الارواح واخذ الاموال ثم تجاوزهم يطوي المملكه طيا.
وكان الاركن عندما افتتح المرزبان ثغوره قد بعث باهله وحشمه
الى ذلك المعقل وجمع وجوه قاطني حضرته فوعظهم وذكرهم ما سلف
من احسانه اليهم وذكر ما بلغه عنهم من فساد الطاعه وما كرهه
من امتحانهم ومعاقبة المستنن منهم فتنصلوا مما قذفوا به عند حضرته
وحلفوا له على استقامة طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم

alkoutob.blogspot.com

الملك اني لم اجمعكم لهذا السبب ولست بناكل عن عدوي ولا مستبعد
الظفر به والنصر عليه ولا بعثني تهمة احد منكم غير انه اخبرني
بعض وزراي عن ملك من سلفي انه شرع في بنا معقل وعني به بعض
العنايه فحال بينه وبين تمام ما اراد من ذلك الاخلال المحتوم على
عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع به جدي قول الحكيم ان تر
الملوك من تمم به سعي سلفه واعقهم من انقطع سعيهم عنده
ثم اني احببت ان جعل ذلك الحصن من عددي وذخايري لقول
الحكماء ان حزم الرعاه من اعد لجميع قضايا العقل احكاما وقولهم
يجب على الملك ان لا يخلو من خمسة اشيا يتحصن بها احدها وزير
صالح يتحصن برايه والثاني سيف قاطع يتحصن بحده اذا غشي
والثالث فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات والرابع
امراة حسنا يحصن بها فرجه وبصره والخامس قلعة يتحصن بعلوها
اذا احيط به عدو وقد اتخذت هذا المعقل لتكمل به حصوني و نقلت
اليه ذخايري ومايلزم على من اراد منكم ان يقتدي بي في فعلي
اخذا بالحزم فليفعل ولما فرغ من مخاطبتهم اذن لهم فخرجوا من عنده
فاقتدى به منهم من كان ذا عقل وخبرة فجهزوا الى ذلك المعقل
اهاليهم واموالهم واقواتهم واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة
يطويها طي السجل لا يقاومه جيش الا هزمه حتى اشرف على حضرة
الاركن فنزل على فرسخ منها وتهيا للاقدام عليها وقد كان الاركن
امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمه وخرج الاركن في اربعة
الف مقاتل من عبيده وخاصته وثقاة اصحابه فقام بهم في معزل

alkoutob.blogspot.com

42

عن جيوشه ورعيته بظاهر المدينه وعبى فيوله ورتب صفوفه
وكان في المدينه داعيان من دعاة كسرى فاغتنما الفرصه واهتبلاها
عند خروج الملك عن المدينه فظهرا واتبعهما من كان طاعهما فوثبوا
بخليفة الاركن في المدينه فقتلوه واستولوا على المدينه وضبطوها وبينما
الملك قايما في جنوده بظاهر المدينه اتاه رئيس الزمازمه حافيا حاسرا
يلطم وجهه وينتف شعره فامر الملك بحمله معه على فيله واستخبره
فاخبره بذهاب دار ملكه وخيانة رعيته فانحاز الملك بخاصته
ومن كان على بصيرة في طاعته وتوجهوا حامية نحو الحصن وانتهى
خبره الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه فوقف بازايهم
من كفى امرهم وسار حتى دخل حصنه واما المرزبان فانه قصد
المدينه فدخلها وضبطها واحكم امرها ثم سار في جيوشه الى ذلك
الحصن فراى منظرا عجيبا رايعا ومعقلا منيعا مانعا ولم يمكنه
النزول بالقرب منه فنكص الى حيث امن ونزل في جيوشه متحفظا
وكتب الى الاركن كتابا يخاطبه فيه بالتعظيم والاجلال ويعرض
عليه خصالا منها ان يرده الى ملكه مكرما موفورا على ان يدين بطاعة
كسرى فلما انتهى رسول المرزبان الى الاركن حجبه ولم ياخذ كتابه
وامره بالعود الى مرسله فياس منه وكان يقال صرفك البصر الى عدو ك
اضاعة واصغاوك السمع الى حديثه طاعه وكان يقال اذا مكنت
عدوك من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهق
سحره وكان يقال عجبا لمن يصغي الى عدوه سمعا وهو لا يرجوا عنده
نفعا وكان يقال اذا عجزت عن التخص من كلام عدوك فانت

alkoutob.blogspot.com

على التحصن من كيده اعجز ثم ان المرزبان عاد الى المدينه وكتب
الى كسرى بالفتح وبما تهيا له وعليه من الامور وكتب اليه كسرى
يامره ان يقيم بتلك المملكه ويترك التعرض لذلك الاركن في حصنه
الا ان يبدوا منه فساد وان يذكي العيون عليه ويقيم المصالح في
جهات حصنه ففعل المرزبان ما امره كسرى ولبث بذلك مدة طويله
وجعل اغنام الفرس يعيثون في تلك المملكه ويعاملون اهلها
بالفظاظة والقسوة التي تطبع الهند على ضدها فدبت الشحناء في النفوس
ودخلت اهل تلك المملكه الغيره لما راوا ان خراج ارضهم يحمل الى غيرها
وينفق في غير اهلها وعرفوا فضل ما كانوا عليه ومشقة ما صاروا
اليه فبسطوا السنتهم وخاف المرزبان ان يردعهم عن القول
فيستوحشوا منه فكف عنهم فكان ذلك داعية الى زيادتهم في
بسط الالسنه وكان يقال ايدي الرعيه تبع لالسنتها فاذا قدرت
على ان تقول قدرت على ان تصول وكان يقال ترك نكير الصغاير
مدعاه الى الكباير فاول نشوز المراه كلمة سومحت بها واول حرن
الدابه حيدة سوعدت عليها قيل واما الاركن فانه لما استقر في
حصنه شاور وزراه فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذى وبسط
العدل والاحسان وتامين السبل واجارة المستجير وتالف المستوحش
والاخذ بالفضل وبالعفو فاتخذ هذه الخلال شرعا يدين به فازدادت
سمعته حسنا والقلوب اليه ميلا والالسنة له شكرا واتفق ان
عاملا للمرزبان على ثغر من تلك الثغور اسا السيرة فقام اليه رجل
كان افضل اهل عمله فوعظه ونصح له فكره العامل ذلك وكتب الى

المرزبان

alkoutob.blogspot.com

المرزبان يزعم ان رجلا من اهل عمله يعارض امره ويولب العامة
عليه فكتب اليه المرزبان يزعم ان رجلا من اهل عمله يعارض امره
ويولب العامة عليه فكتب اليه المرزبان يامره بحمله اليه مقيدا
فاخذ العامل الرجل فقيده وبعث به الى المرزبان مع رجال من الجند
فتبعهم احداث من فتيان ذلك الثغر وقاتلوهم فقتلوا اولايك
الموكلين بذلك الرجل واطلقوه فاتى الرجل الى العامل فاخبره فعل
اولايك الاحداث وانه عجز عن دفعهم فامر به العامل فضرب عنقه

صورة السياف يقطع راس الرجل

وكان ذا منزلة عند اهل المدينه فوثبوا على العامل فقتلوه وقتلوا
كثيرا من رجاله وضبطوا ثغرهم وانضوى اليهم من كان على مثل
رايهم ومن كان في غير حصن وكاتبوا من يليهم فاجابوهم الى مثل ما
صنعوا وطردوا عمالهم فانتقضت الطاعة لكسرى في مواضع كثيره
من تلك المملكه في اسرع مده ولما انتهى ذلك الى المرزبان جمع جنده

alkoutob.blogspot.com

وضبط حضرته على حال ذعر وتوق شديد وكتب الى كسرى يستمد
وكان اهل حضرته عند ما خرج عنهم رئيس الزمازمه وتوجه مع ملكهم
الى حصنه قدموا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم فلما راى ما فيه
المرزبان من الذعر والتوقي وقصده من خافه بالمحنة والعقوبة دخل
على المرزبان فقال له انى اريد اسلك عن امر ظننت علمه عندك
فقال له المرزبان قل فقال بلغني ان مما اوصى به ازدشير ابن بابك
ملك بابل انه قال قد تخرج الرعيه بعنف السياسه الى ما لا تريد
من المعصيه وانه قال في وصيته ينبغي لمن تغلب على ملك وغصبه
ربه ان يحفظ الوصية والشريطة التي تسلم عليها تلك المملكه
فانها محفوظة عليه وثابتة في عقد تسلم تلك المملكه منه وانها
ستخرج من يديه بمثل ما صارت اليه وقيل ان هذه الوصيه كانت
مكتوبه في مجلسه بازاء سريره موضع قضايه ففهم المرزبان ما اراد

صورة الشيخ يخاطب المرزبان

alkoutob.blogspot.com

الا انه احب الوقوف على اخر ما عنده فقال له الامر على ما بلغك
ايها الشيخ فقال ريس الزمازمه اذا كان الامر على ما بلغني فما لك
لم تستعمل الحكمة التي علمت وعنفت في سياسة الرعيه عنفا اخرجها
ولعله ان يخرجها ولم لا تحذر خروج هذه المملكه من يديك بمثل
ما صارت اليك فلما سمع مقالة ريس الزمازمه انتهره وتهدده
وكان شيخا ضعيفا كبير السن فسقط مغشيا عليه وحمل الى منزله
فمات بعد ايام فعظمت المصيبة بموته وسائت المقاله وسمحت الالسن
وشحنت الانفس من الشقاق بما كانت منقبضة عنه وفشا ذلك
في الرعيه فشوا تاما فاستحضر المرزبان وجوه من بحضرته فوعظهم
وحذرهم بطش كسرى ودعتهم في العاقبة فارضوه بالسنتهم وسلوا
عنه وغلظ امر اهل الاطراف المتقضة وشغل عنهم المرزبان
بتحصين البيضة فبعثوا رسلا الى الاركن الذي كان ملكهم يسلونه
الصفح عنهم وان يبعث اليهم رجلا يتحيزون اليه فاعطاهم امانا
واستعمل عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستبصروا في طاعته
ونصحوا له في الذب عنه واضطر المرزبان الى ان بعث اليه جيشا
فعادوا منهزمين مفلولين ولم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه
فحصن دار ملكه واستخلف عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها
الى عدوه فلما فصل عن المدينه وثب اهلها باصحابه فاستوعبوهم قتلا
وتشريدا واحرزوا مدينتهم وبلغ ذلك المرزبان فاستمر لوجهه خارجا
من تلك المملكه حتى قدم على كسرى طريدا مفلولا وعاود الاركن الى دار
ملكه فجرى على سنن العدل والاخذ بالحزم وقمع شهواته واستعمل الحكمه

alkoutob.blogspot.com

التي افادته التجارب اياها

روضة رايقة ورياضة فايقة

بلغني ان امير المومنين عثمان رضي الله عنه قال لجلسايه وهو محصور في الفتنة وددت لو ان رجلا صدقا اخبرني عن نفسي وعن هولا يعني الذين حصروه فقام شاب من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المومنين انك تطاطات لهم فركبوك وتخاضعت لهم فسلبوك وما جراهم على ظلمك الا توفر حلمك فقال صدقت اجلس ثم قال له هل لك علم بما يثير الفتن قال نعم يا امير المومنين سالت عن هذا شيخا من تنوخ كان باقعة وقد نقب في البلاد وعلم علما جما فقال لي ان الفتنة يثيرها امران احدهما اثرة يضغن الخاصة والثاني حلم يجري العامة فقال عثمان رضي الله عنه فهل سالته عما يخمدها قال نعم قال لي ان الذي يخمد الفتن في ابتدايها استقالة العثرة وتعميم الجامة بالاثرة فاذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الازم يعني الصبر فقال عثمان رضي الله عنه فهو ذاك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين تفسير الفاظ اشتمل عليها هذا الخبر

قوله باقعة اي داهية مجرب ويقال فلان باقعة بقاع اذا طوف بقاع الارض واستفاد التجارب وقوله الاثرة هي اختصاص بعض المستحقين للشي به دون بعض وقوله الجامة يعني الخاصة وقوله يضغن اي يحقد والضغن الحقد وقوله الازم هو الصبر والحبس وحقيقة الامساك على الشي بالاسنان قال محمد عفى الله عنه

alkoutob.blogspot.com

هذا

هذا الحديث ينحو الى ما ذكره الفرس ان يزدجرد ابن بهرام سال حكيما
من الفلاسفه ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعيه واخذ الحق بغير
عنف والتودد بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم قال فما
صلاح الملك قال وزراه اذا صلحوا صلح قال يزدجرد ايها الفيلسوف
ان الناس قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يسكنها
اذا ثارت فقال يظهرها جراة عامه ويولدها استخفاف خاصه
ويوكدها انبساط الالسن بضماير القلوب واشتقاق موسر وامن
معسر وغلطة ملتذ ويقظة محروم فقال يزدجرد وما الذي
يسكنها ايها الحكيم الفاضل قال يسكنها ايها الملك اخذ العده لما يخاف
وايثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم والادراع للتبصير
والرضا عن القضا

السلوانة الرابعه

قال الله تبارك وتعالى عاتبا من خطا حكمته وسخط قسمته وتنقد يره
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ثم نبههم
على ما حرموه من فضيلة الرضى بقوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله
وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
ووصف صفوته من خلقه بالرضى فقال رضى الله عنهم ورضوا عنه
ما روي ان موسى عليه السلم قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت
به عني فاوحى الله عز وجل اليه انك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا

alkoutob.blogspot.com

متضرعا الى الله سبحانه فاوحى الله سبحانه يا ابن عمران رضاك في رضاي بقضاي **خبر نبوي في الرضا مما رويناه**

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا قيل انما قال بعد القضا لان الرضا قبل القضا انما هو عبارة عن العزم على الرضا وتوطين النفس على الرضا بالقضا اذا نزل وانما يتحقق الرضا بالقضا بعد حصول القضا **خبر نبوي**

في مثل ذلك مما رويناه ان النبي صلعم لقي رجلا من اصحابه وقد اجهده المرض والحاجه فانكره النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما الذي بلغ بك الى ما ارى قال المرض والحاجه يا رسول الله فقال له افلا اعلمك كلاما ان انت قلته اذهب الله به عنك فقال والذي بعثك بالحق ما يسرني بحظي منها اني شهدت معك بدرا والحديبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل لاهل بدر والحديبيه ما للقانع الراضي

منثور ومنظوم حكم في الرضى

روي ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه انه كتب الى ابي موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله في الرضى فان استطعت ان ترضى والا فاصبر

اعلم رحمك الله ان الرضا هو اطراح الاقتراح على العالم بالصلاح اذا كان القدر حقا كان سخطه حمقا من رضي حظي من ترك الاقتراح افلح واستراح كن بالرضا عاملا قبل ان تكون له معمولا وسر اليه عادلا والا صرت نحوه معدولا وقيل للحسن البصري من اين اتي الخلق فقال من قلة الرضا عن الله فقيل له ومن اين قل رضاهم

alkoutob.blogspot.com

عن الله فقال من قلة المعرفه بالله **ومما قلته في الرضي**

يا مقرعي فيما يجي وراجي فيما مضي عندي لما تقضيه ما ترضيه من حسن الرضي

ومن القطيعة استعيد مصرحا ومعرضا **وفي ذلك ايضا**

كن من مدبرك الحكيم علا وجل على وجل

وارض القضا فانه حتم اجل وله اجل

بل ينبغي نعم

ومن ذلك

يا من يري حالي وان ليس لي في غير ما يرضيه اوطار

وليس لي ملتجد دونه ولا عليه لي انصار

حاش لذاك الفضل والعزان يهلك من انت له جار

فان تشا هلكي فيا مرحبا بكل ما تقضي وتختار

كل عذاب منك مستعذب ما لم يكن فقدك والنار

ومن ذلك

اذا انا لم ادفع قضاء كرهته بشيء سوا سخطي له وتبرمي

فصبري له من حسن معرفتي به كما ان رضواني به من تكرمي

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل ان يزدجرد الاثيم ابن سابور ذي الاكتاف لما ولد له ابنه بهرام جور اخبروه منجموه بقوة مواد وسعادة جده ومصير الملك اليه بعد شدة ومحنه وطول اغتراب وانه ينشا بين امة نابيه ذات همم عليه وجسوم زكيه ونفوس ابيه وبهم يصير الملك اليه فاجال فكره في خصايص الامم ومزاياها فراي العرب ولي الامم بتلك

alkoutob.blogspot.com

الاخلاق التي وصف له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الى
النعمان بن امرالقيس ابن عدي ابن نصر اللخمي فاستحضره واشخص اليه
جماعة وافرة من روساء العرب وساداتها فوصلهم وبرهم واخبرهم
بما يريد من تمليك النعمان ابن امرالقيس عليهم فانعموا له بذلك
فشرف النعمان وتوجه وملكه على العرب وسلم اليه ولده بهرام وامره
بكفالته فاسترضع له النعمان اربع نسوة صحيحات الجسوم ذكيات
الفهوم سينات الاعراق سريات الاخلاق امراتين من العرب
وامراتين من الفرس واجري عليهن ما يصلحهن وانكفى ببهرام الى
بلاده فبنى له الخورنق لما اتفق عليه من طيب هوايه وفضيلة
مايه فارضع المرضعات بهرام اربعة اعوام ثم فصله وقد صار
غلاما خفا لسرعة شبابه فلما استكمل بهرام جود خمسة اعوام
قال للنعمان نظر في تعليمي ما يحتاج الملوك الى علمه فجرت بينهما
في ذلك محاوره قد اودعتها كتابي المسمى درر القرر المضمن انباء نجبا
الابنآء فكتب النعمان الى يزدجرد يساله ان يرسل الى ابنه رجالا من
حكماء الفرس وفقهايهم ومعلمي كتابتهم فارسل اليه يزدجرد بجماعة
منهم ثم ان النعمان ضم الى بهرام رجلا من علماء العرب وحكمايها
ودهاتها وكان ذا بصر بالسياسه وخبرة بكثير من اللغات وحفظ
لاخبار الملوك وسيرها ومعرفة بايام العرب وغيرها وكان اسمه
جلسا فافاد بهرام كل واحد من معلميه ما عنده من العلم فلما استكمل
اثنى عشر سنه فاق معلميه كلهم واعترفوا بفضيلة عليهم واستغنايه
عنهم فصرفهم النعمان مكرمين وكره بهرام مفارقة جلس لكونه

alkoutob.blogspot.com

يجد

يجد عنده من المحاسن والاداب والسياسه والاخبار والدهاء مالم
يره مجتمعا في غيره واستدعي النعمان من يزدجرد من يعلم ولده الرمايه
والفروسيه ومايحتاج اليه المحارب فبعث اليه يزدجرد بمن يعلم ولده
الرمايه فمكثوا عند النعمان ثلاث سنين فاستفاد جميع ما عندهم من
ذلك وصرفهم مكرمين وامسك جلسا لشغفه به ولما استوفي
بهرام في السن خمسة عشر سنه استاذن النعمان الملك يزدجرد في القدوم
عليه بولده فاذن له في ذلك فقدم النعمان علي يزدجرد بابنه بهرام
واوفد معه روساء العرب وزعماوها فاحسن يزدجرد وفادتهم
واكرم نزلهم واجزل صلة النعمان وضاعف تشريفه وسرحه

صورة قدوم بهرام علي ابيه يزدجرد مع النعمان

وامسك ابنه بهرام عنده واحتبس بهرام جلسا لعلوق نفسه به
وكان يزدجرد فظا غليظا عسوفا شديد الكبر غليظ الحجاب مجتريا
علي سفك الدما واغتصاب النفوس والاموال ولذلك سمي الاثيم

alkoutob.blogspot.com

فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها واتعبه ولده واستعمله
على شرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه وعيل صبره وضاق ذرعه
فشكا ذلك الى جلس فرق جلس لشكواه ثم اقبل عليه فقال له ما
معناه جلا الله كربك واعلى كعبك واطاب ذكرك في قلوب الامم
وافواهها وكبت لعزك جميع ملوك العرب والعجم لجباههما اني ولي
الناس بامحاض النصيحة من كان معدوقا بها ومندوبا اليها ومخصوصا
عليها وانه كان يقال النصايح بشعة المبادي حلوة العواقب فهي
كالادويه يسوا استعمالها ويسر مالها ويذم عنها ويمدح غبها
وكان يقال الامين يصحب الملك بالدوب على الخدمة والمبالغة في
النصيحة والخاين يصحب الملك بالدوب على الخدمة بحسن المداراه.
وافراط التذلل وكان يقال انما يسعد النصحا بالملك اذا كان مويدا
بفضيلة العقل وان لم يكن كذلك شقي به النصحا وسعد به ذو
الملق وهذا لان الناصح ينفق على من نصح له من عقله وبالعقل يدرك
العقل وكان يقال الاشد اللوم ان تضن بالنصح عمن سمح لك بالثقه وان
تستر الصواب عمن هتك لك حجاب سره وكان يقال اولى العقلا النصحا
بقبولك منه واقبالك عليه من كانت سعادتك شرطا في سعادته
او علة لها ومن كنت منه بهذه المنزله فسعيه لك سعي لنفسه وذبه
عنك ذب عنها ثم قال جلس لبهرام قد ساني تبرم ابن الملك وضجره
لما لقي في خدمة ابيه الملك وانا اشير على ابن الملك باظهاره المسره بما
اظهر به التبرم والضجر اذ كان الملك قد استعمله على عمل لا بد للعامل
فيه من اظهار البشر والطلاقه وان من صحب الملوك بما لا يوافقها

alkoutob.blogspot.com

تحركت

48

تحركت عليه بالغضب ولا ينبغي مع هذا ان تظهر من ذلك ما يبطن
خلافه فان الريا ينفصل عن الطبع نصول الخطاب عن الشعر ولكن
ليتأمل ابن الملك القضية التي كرهها بعين العدل يظهر له حسنها
وذلك ان الملك استعمله على شرابه الذي هو جماع لذته وجالب طربه
ومسرته وراحة نفسه من نصب التدبير ومشقته ووكل اليه مع هذا
حراسة مهجته ورضيه لحفظها في مجالس خلوته ووثق بكفايته في
صون شرابه من بلية وآفة يقصده بها اعداوه من جهة الشراب
او خلل يدخله على عقله السكر والاطراب وكيف يصلح ان يعدل
الملك عن الولد الحبيب النجيب بهذا العمل العلي قدره العظيم خطره
ام كيف تطيب نفس الولد الفاضل ان يرى اباه صارفًا هذا العمل الى
سواه فليصرف ابن الملك فكره الى ما ذكرته له ليكون ما يظهره
من الغبطة بهذه الحظة راجعًا الى عقد يوافقه ومعنى يطابقه
ولا يتخلف من ذلك بما يتمنى رفضه ويبرم منه ما يستحب نقضه
فينم عليه بما اسره توسم الابصار وتكهن الافكار فانه كان يقال
الريا سراب يخدع الفطن القاصرة ولا يخفى على ذوي البصاير الباصرة
وكان يقال انما ينبسط سلطان الريا على السمع والبصر اللذين يدركان
الشهادة دون الغيب فاما العقل فلا ينبسط سلطان الريا عليه
لان الاول الآخر قد كاشفه بكثير من الغيب لاختصاصه اياه ثم
قال جلس وقد فطن الدب على بلادة حسه لريا القرد فقال بهرام
اخبرني عن هذا فقال جلس ذكروا ان دبًا كان يسرح في غيضة
ذات اشجار مثمرة وكان في تلك الغيضة قرود وكان الدب يرى

alkoutob.blogspot.com

قوة القرود على رقا الشجر والتطرف لاغصانها وتمكنها بذلك من
احتناء اطايب الثمار فحدث نفسه بان يصيب قرداً منها فيكلفه
ان يجتني الثمر فصعد شجرة والقى نفسه منها والقرود تنظر اليه وجعل
يتضور ويتخبط طويلاً ثم تماوت فخفت وفتح فمه واخفى نفسه
واجتمعت القردة لرويته فقال لها حازم منها انه لا يبعد ان يكون
هذا الدب متصنعاً خادعاً وان الحزم ان نتجنبه ونحذر منه
فان لم يكن بد من الدنو منه فلم نجمع خطباً وندره حوله ونضرم
فيه ناراً فان كان متصنعاً افتضح وان كان ميتاً فلا ضير علينا في
احراقه وانه كان يقال عدوك ضدك وحكم الضدين التنائي والتنافر
والتباين والتدابر وكان يقال لا تطا ارضاً وطيها عدوك الا على توقي
واحتراز وتوقي افتراس ولا يغرك خروجه منها وبعده عنها فربما
رتب فيها شباك ونصب لك وكان يقال لا تغش عدوك الا متسلحاً
متحذراً متحفظاً ولا يغرك منه استسلامه والقاوه السلاح فما كل
سلاح يدرك بالبصر وقد غر الراهب اللص بمثل ذلك فتم عليه ما اراد
فقالت القرده اخبرنا عن ذلك فقال ذكروا ان راهباً من الرهبان
كان فاضلاً وكان متبتلاً في قلاية له بظاهر اللاذقيه وكان شيخاً فانياً
قد نهكته العباده وكان النصارى يخصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها
اهل الفاقة لزهده في الدنيا وان لصاً من اللصوص راى كثرة ما يخص
به ذلك الراهب من الصدقات فحدث نفسه بان يتسور عليه قلايته
وظن انه سيصيب عنده كنزاً فتحيل ليلة من الليالي حتى تسور القلايه
وحصل مع الراهب في بيت تعبده فوجده قايماً يصلي والسراج يزهر

alkoutob.blogspot.com

في البيت فصاح اللص يا راهب استاسر قبل ان القي راسك ۵

صورة الراهب واللص

فالتفت الراهب فراى اللص واذا هو شاب شديد البنيه في يده سيف
مصلت فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته وفر بين يدي اللص
الى ناحية من البيت في حايطها طاق فادخل الراهب راسه في الطاق
ورد يديه الى خلفه كما يصنع بالمكتوف فلما راى اللص ان الراهب قد
استسلم وخبا راسه القى سيفه ووثب نحو الراهب ليقبض عليه
فانخسف به ما تحته وسقط في دهليز القلايه سقوطا اوهنه فمكث
على حالته لا يجد محيصا عن الموضع الذي حصل حتى اصبح فدل
الراهب عليه فاخذ وصلب وقد كان الراهب اتخذ في طريق الطاق
ثقبا وجعل عليه طبقا ينقلب بلولب اذا اعتمد عليه وغطاه
ببعض فرش البيت فلما قصد الى الطاق هاربا بين يدي اللص خطر
في ذلك الموضع وتخطاه لمعرفته بموضعه فلم يضع رجله على الطبق

alkoutob.blogspot.com

واللص لم يعرف ذلك ولا استعمل الحزم بالتحفظ بل عول على ما ظهر
له من استسلام الراهب ولم يدر بانه قد اعد له سلاحا لا يدركه البصر
فلما سمعت القردة المثل الذي ضربه لها حان منها توقفت عن الاقدام
على الدب وانتشرت لجمع الحطب لاحراقه فاتى غر من القردة لم يكن
حاضرا ذلك الموضع ولا سمع مقالة الحازم فدنا من الدب واصغى
باذنه الى انف الدب ليسمع حس نفسه فقبض الدب عليه وعمد
الى عرق شجر الخيزران فربط طرفه في وسط القرد وكلفه ان يصعد
الشجر فيجتني له اطايب الثمر ويلقيه اليه والدب ممسك بالطرف
الآخر صورة الدب رابطا القرد بالخيزران والقرد يجتني له الثمر

من الخيزرانه فلبث القرد بذلك بقية يومه ثم انصرف الدب به الى
غار فادخله فيه وسد بابه عليه بصخرة ولما اصبح غدا على القرد
فاخرجه من الغار وانطلق به الى الغيضة فجنى له الثمر عامة نهاره
ثم راح به الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك مدة والدب قد بلغ مناه

alkoutob.blogspot.com

والقرد

50

والقرد في اسوء حال واعظم مشقة يظل نهاره في خدمة الدب
ويبيت ليله في سجنه وكان يقال من تعرض لما لا يعنيه تورط فيما
يعنيه وكان يقال شهوات العاقل من وراء فكرته فاذا انبعث له
شهوة مرة بفكرته فنظر في مباديها وعواقبها وتدبر فيها بحلم
الراي وفكرة الاحمق من وراء شهوته فكلما انبعثت له الشهوة مرت
نافذة لوجهها لا يصدها شي وكان يقال انما اصاب يسير المؤونة المتحملة
للعدو شاقا لان الارواح تتحمل منها اضعاف ما تتحمل الابدان
فيصير الادا بها عاما وليس كذلك المؤن المتحملة للحبيب لان الارواح
تتلذذ بها وتستخدم الابدان لها قيل ثم ان القرد فكر في حاله
فظهر له ان نصحه في خدمة الدب تمنعه من الخلاص منه فندم على
نصحه في خدمته وعلم انه لن ينجيه منه الا الحيلة فطالت فكرته
في ذلك الى ان اتجه له وجه الحيلة فيه وكان يقال اذا كان المملوك
ميت الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة فهو سلم لمالكه وان لم يكن بهذه
الصفات فان له فيه شريكا هو املك به من سيده وذلك انه اذا كان
متحرك الشهوة كان منقادا لطاعته واذا صحت فكرته واعملها في
طلب الراحة من النصب والخلاص من الاسر واقامة الحجة في الدفع عن
نفسه واذا سمت همته اتصف بالغضب والانفة والحقد وقدم بما
يريد لا بما يريد سيده قيل وكان مما عول القرد عليه من الخديعة
للدب ان يتظاهر بضعف البصر فصار يلقي الى الدب ما لا خير فيه
فزجره الدب عن صنعه فلم ينزجر وضربه فلم يرتدع فلما طال
عصيانه عليه قال له اني قد سامت من ضربك وزجرك وقد حدثت

alkoutob.blogspot.com

نفسي باكلك لانه لم يسو لي فيك منتفع وكان يقال اذا لم تجد من الخدمه الا من ساء ادبه فاخدم انت نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك من المشقة اضعاف ما يحمل عن بدنك فقال له القرد اني لست على ما تصفني من سو الادب ولو قتلتني لندمت كما ندم الطحان حين قتل حماره فقال له الدب اخبرني عن ذلك فقال القرد

يحكى ان طحانا كان له حمار يطحن به وكانت له زوجة سو يحبها وهي تحب جارا لها وذلك الجار الذي تحبه يبغضها ويمتنع منها فارى الطحان في منامه قايلا يقول له احتفر في موضع كذى من مدار الطاحونه تجد كنزا فحدث امراته برؤياه وامرها بكتمانه وكان يقال من زعم انه يجد راحة في افشاء سره الى غيره فاتهم عقله لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه اقل من مشقة الحذر من انتشاره بسبب المشاركة فيه وكان يقال امران يسلبان الحر كمال الحريه وهما قبول البر وافشاء السر وشرح هذا ان من قبلت بره فقد اوجبت على نفسك الخضوع له والاحسان يرق الانسان وكذلك من اطلعته على سرك فان حذرك من افشايه يلزمك ذل التقيد له وكان يقال المراه موهله لبيت تقمه وطعام ترمه وولد تربيه ومغزل تديره وشبق تسكنه وتثيره فمن اشركها في امره واطلعها على سره فقد التحق بعالمها اذ ليس في قواها الالتحاق بعالمه قيل فلما حدث الطحان امراته برؤياه اخبرت بها جارها الذي تهواه وتقربت بها من قلبه • فواعدها ان يطرقا الموضع ليلا ليتعاونا على حفره

صورة امراة الطحان تخاطب صاحبها عن الكنز

alkoutob.blogspot.com

ففعلا ذلك فوجدا الكنز فاستخرجاه فقال جار المرآة كيف نصنع
بهذا المال فقالت المرآة نقسمه نصفين بالسوا وينطلق كل واحد
منا بنصيبه الى منزله وتفارقانت زوجتك واحتال انا في فراق
زوجي ثم تتزوجني فاذا اجتمعنا على النكاح جمعنا المال فكان بايدينا
فقال لها جارها انا اخاف من ان يطغيك الغنا فتنكحي غيري وانه
كان يقال الذهب في المنزل كالشمس في العالم وكان يقال من بلغ من
اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه وكان يقال اليسار مفسده للنساء
لغلبة شهواتهن على عقولهن وكان يقال لا تسمح لولدك ولا لامراتك
ولا لخادمك بما فوق الكفايه فان طاعتهم لك بقدر حاجتهم اليك
ثم قال لها بل الراي ان يكن جملة المال عندي لتحرصي على التخلص
من زوجك واللحاق بي فقالت له اني اخاف منك مثل الذي
خفت مني ولست مسلمه حظي من هذا المال اليك فلا تحسدني على
حظي منه وقد اثرتك بالدلالة عليه وانه كان يقال انما صار

alkoutob.blogspot.com

العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد الزمان لان الشكر انما يجب
لمن تفضل بحق هو له فاما من اعطى الحق اهله فهو محمود لا مشكورا
فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره والحذر غمتها عليه الى ان
قتلها والقاها في موضع الكنز وبغته الصبح فاعجله عن مواراتها
صورة قتل الامراه

فاحتمل المال وخرج ودخل الطحان على اثره فربط حماره في المدار وصاح
به فمشى خطوات ثم اعترض الحفير والقتيل بين يديه في مداره فوقف
فضربه الطحان ضربا شديدا والحمار يتلوى ولا يمكنه التقدم والطحان
لا يدري ما بين يدي الحمار فاخذ سكينا ونخسه نخسا كثيرا
ثم استشاط غيظه فطعنه على خاصرته فمرت فيه السكين ووقع ميتا
ولما انتشر الصباح راى الطحان الحفير ووجد امراته فيه قتيلا فاستخرجها
فراى اثار الكنز فاشتد اسفه على ذهاب الكنز وهلاك المراه
فقتل نفسه صورة الطحان يقتل ذاته

alkoutob.blogspot.com

فلما سمع الدب مقالة القرد قال له قد ظهر فيما ضربت من المثل
عذر الحمار فما عذرك انت فقال له القرد ان بصري قد ضعف واخاف
عليه من ان يذهب بالجمله فان رايت ان تنظر في صلاحه فذلك بيدك
فقال له الدب ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي فقال القرد
ان الاطباء لكثير ولكن العاقل لا يستطب لالمه من لم يكن من عالمه
وان للقردة بهذه الارض طبيبا تصفه باجادة الفتي والزهد في متاع
الدنيا واني لاستروح العافية من تلقاه واستروح الفرج في لقاه
فاجابه الدب الى ما اراد فقصد به القرد قردا كان موصوفا بالخبث
والدهاء فلما بلغا اليه فر من الدب فصعد شجرة وقام الدب تحتها
فقص غلامه عليه ورغب اليه في مداواته فقال القرد الخبيث دعه
يطلع حتى انظر الى عينيه فارخى له في الخيزرانه فصعد فجعل يتامل
عينيه ويساله عن خبره فقص عليه خبره مع الدب وساله ان يفتح له
باب المكيده في الخلاص من يديه فقال القرد الخبيث اني ساحمله على السهر

alkoutob.blogspot.com

فاحتل لنفسك في انتهاز الفرصه اذا نام وكن على حذر من ان تتنا وم
ليختبرك ثم امره بالنزول فنزل واقبل القرد الخبيث على الدب فقال
له ينبغي ان اعرفك ذا عبدك هذا قبل ان ذلك على دوايه اذ يستحيل
العلم بالدوا من الجاهل بالدا فاعلم انما صحت جسوم القردة وقلت
لحومها وتوقدت فهومها لانها وفرت على السهر دواعيها وجعلت لليلها
حظا من مساعيها وانه كان يقال كثرة النوم تجلب الدماغ وتسلب
الاعمار وكان يقال من لزم الرقاد حرم المراد وكان يقال لا يصح ان
يقال في حد الجود انه سماحة النفس بالنفس ولو صح هذا لكان اجود
الاجواد من كثر نومه لانه سمح بحياته التي لا يجد لها كفا ولا
يصيب منها عوضا ثم قال القرد الخبيث للدب انك لما اخرجت عبدك
هذا عما اعتاد ادخلت عليه الفساد كما صنع بالطاير الذي صيد
لابنة الملك فقال له الدب اخبرني عن ذلك فقال القرد ذكروا
ان ملكا من ملوك اليونانيين كانت له ابنه تكرم عليه جدا فهاجت
بها المرة السودا فادخلت عليها انواعا من الامراض وبلغ بها الامر
الى الامتناع من الغذا والدوا فاشار طبيبها ان تنقل الى ارتفاع تشرف
منه على بستان مونق وما جار ففعل ذلك بها فرات في اليوم الذي
نقلت فيه الى ذلك العلو طايرا فيه من كل لون قد نزل على داليه
فاكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع من النغم المطربه فارتاحت
الجاريه لما رات وسمعت من الطاير واستدعت الغدا وكان يقال
افضل النغم المطربه ما سمع من الصور الحسنه لانه يحرك الشهوه والطرب
جميعا فتتظافر القوتان وتفعل فعل الادوية المركبه فانها تجمع

من

alkoutob.blogspot.com

من الادوية المفرده واشد فعلاً قيل ثم ان ذلك الطاير اسرع الذهاب
ولم يعد يومه ذلك فظهر على ابنة الملك القلق لغيبته

صورة ابنة الملك في القفص والطاير على الداليه

ولما كان الغد عاود ذلك الطاير الداليه في مثل وقته بالامس فبشرت
ابنة الملك بعودته فاستبشرت وارتاحت واكلت وشربت وانصرف
الطاير في يومه كما انصرف في امسه فعاودها القلق لغيبته وبلغ
الملك خبرها في ذلك فامر باصطياد ذلك الطاير فاصطيد وجعل في
قفص واتحف ابنته به فاشتد سرورها واغتذت وتداوت ورأى
الطبيب انتعاش قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم يعلم بامرها
مع الطاير وان ذلك الطاير لبث عندها اياماً لا يصوت ولا يطعم شيئاً
واخذ حسنها في التغير وعادت الجاريه الى سو الحال وجعلت تذوب
لما نالها من الاهتمام بامر الطاير مضافاً الى مرضها وعلم بذلك ابوها
فندم على اصطياد الطاير وكان يقال لا تكن تلميذاً لمن يبادر الى الاجوبه

alkoutob.blogspot.com

عن المسايل قبل ان تدبرها وتتفكر فيما يتفرع عنها وبعد لدفع ما
يمكن خصمه ان يعترض عليه من الاجوبه او يلزمه خصمه من المناقضه
لاصوله كما انك لا تستشير الغر الذي لا يتجاوز مبادي الآراء الي عواقبها
ولكن تتلمذ لمن يتفكر في الاواخر قبل ان يجيب عن الاوايل كما تشاور المحنك
المتدبر لبطون الامور وظهورها المطلع علي مباديها وعواقبها قيل
فلما علم الطبيب ما انتقلت حالة الجاريه اليه من الفساد عرفان
ذلك لعارض طرا عليه فبحث عن ذلك فاطلع علي قصتها في الطاير
فاشار ان تنصب شباك محيطه بالبستان علوا وسفلا فوضع ذلك
علي ما اشار به ثم اطلق الطاير في البستان فلما رجع الطاير الي ما
اعتاده والفه راجعته صحته ونفسه وعاود تغريده فصلح بذلك
حال الجاريه ونقهت من مرضها قيل فلما قضي المثل قال له الدب
قد سمعت مقالتك ووعيت حكمتك فامرني بما فيه مصلحة عندي هذا
اطع امرك فقال له القرد اني آمرك ان تتاخر في مسرحك جزا من
الليل فان ذلك زيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك ومهيجا لنشاطك
وانبساطك ومضاعفا للذة منامك ومساعفا بمصلحة غلامك فشكره
الدب علي نصحه وانطلق بعده الي مسرحه فاجتنى له نهاره ذلك اخابث
الثمر فلما جاء الليل اظهر القرد نشاطا ومرحا واجتنى في اضعاف ما
يجتنيه ثمرات طيبات فلبث بذلك صدرا من الليل ثم انكفي به الدب
الي المغاره فسبحه بها وغدا عليه لعادته ولبث القرد اياما يتظاهر فيها
اذا جاء الليل بقوة البصر ويجتني للدب اطايب الثمر علي حال تدريج
والدب لم تسكن نفسه الي الثقة بالقرد بل يتهمه عليه انه مراي متصنع

alkoutob.blogspot.com

مخادع وكلما يزيد القرد من نصيحته يزيد الدب في الريبه وانه في ليلة
من الليالي اراد الانصراف الى ماواه فجعل القرد يماطله ويقول ها هنا
ثمرات طيبات فتاخر الدب لما طبع عليه من الشره والنهمه وكانت ليله
مقمره فحدث الدب نفسه بان يتناوم ليختبر القرد ويمتحن ظنه به
فتناوم وجعل يغط فما كذب القرد ان وثب هاربا وجذب الدب بالخيزرانه
جذبة شديده فانقطع ظهره وهلك صورة الدب متناوم والقرد
يرقبه ليفر وهو مربوط بالخيزرانه

قيل ولما بلغ جلس غاية هذا المثل الذي ضربه لبهرام امسك عن القول
فقال له بهرام ما ابهجني بقربك واقر عيني بما تفيدني من حكمك
وتضربه من امثالك وتجلوه علي من ملحك ولئن بقيت الى ان تدول
لي دولة لاجعلنك اول داخل علي وآخر خارج عني وسأروض نفسي
بادابك هذه مستعينا بالله فسجد جلسا ودعا له بنجح الامل ثم ان
بهرام جور شهد والده ليلة من ليالي سروره وقد نضد النوادر بين يديه

alkoutob.blogspot.com

فكان مثل الزرابي المخملة والتيجان المرصعة فتذكر بهرام اياّمه عند
النعمان وانتجاعه الرياض الانيقة وشربه فيها على الازهار المطلولة
الى ما كان ينعم به من مباكرة الوحوش في مغانيها ومواردها
والتفكه بطرادها واصطيادها فاطرق واستولت عليه الفكرة
وعبس وتنفس الصعداء وابوه يسارقه النظر ثم انه استفاق فنظر
الى ابيه وعلم انه كان لمراى منه فاسقط ما كان في يده ولم تمض
الا ساعة حتى قبض الملك ونكس راسه فنهض كل من كان بحضرته من
ندمائه وسماره وكانت تلك عادة ملوك الفرس اذا عبس الملك
منهم او اطرق لم يبق بحضرته احد الا استوى قايما على حال
خشية وسكون وكان ليزدجرد مضحكا ظريف اللسان لطيف الفطنة
حسن الانتزاع جيد البديهة حلو النادرة فحضر ذلك المقام وفطن
للامر الذي تنكر له الملك وان ذلك لما كان من عبوس ولده بهرام
واطراقه في مجلس المسرة فحدث ذلك المضحك نفسه بان يحسن الى
بهرام ويصطنع عنده يدا فيتحيل له حيلة يخلصه بها من غضب الملك
وبينما هو يناجي نفسه بالحيلة رفع الملك راسه الى المضحك فنظر اليه
كانه يحركه على ان يصنع شيئا فيه سلوه فسجد المضحك ثم جلس
على ركبتيه وقال ان العبد الذليل يستاذن الملك في ان يخبره عن نفسه
بخبر عجيب فنظر اليه بهرام كالاذن له فقال المضحك ان العبد كان
في حداثة سنه كلفا بالنساء مفرط الشبق لهن الا انه كان ملولا
لا يثبت على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن امراه هام بها
وتهالك في حبها وكان يقال من تبع لحظه هواه ادحضه واهواه

alkoutob.blogspot.com

وكان

وكان يقال كن من عينك على حذر فرب جنوح حين جناه جموح
عين وكان يقال ما احرى الملوك بان يحرم المأموك وكان
يقال السامه من اخلاق العامه لا من اخلاق السامه وكان يقال

صورة المضحك يخاطب الملك

التنقل من خلة الى خله كالتنقل من ملة الى مله ثم قال المضحك
وان العبد دخل بلاد السند فبينما هو يطوف ببعض مدنهم رأى
امراة لم ير قبلها مثلها في الصورة والحسن وامتداد القامه ورشاقة
الحركات ولباقة الاشارات وسحر الطرف وتالق الظرف فتبعها العبد
وهو لا يرى موطئ قدميه من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلته ولزم
العبد باب منزلها ليلا ونهارا فارسلت اليه تستعفيه من لزوم
بابها وتحذره سطوة اهلها فشكى العبد الى رسولها ما يلقاه من
الشغف واعلم الرسول انه لا معدل له عن بابها وانه مستميت
في طلابها فلبثت عن العبد مدة ثم اعادت الرسول اليه فرده العبد

alkoutob.blogspot.com

اليها بمثل كلامه الاول فارسلت الي العبد تقول له اني اظن بك
الملل والغدر ولولا اذ ذاك لاسرعت الي مساعدتك واني متزوجتك
بشرط الوفا فان غدرت بي اهلكتك بعد ان نكل بك نكالا يضرب
به المثل فان التزمت بهذا الشرط فاقدم والا فانج بنفسك قبل
ان يتعذر عليك الخلاص وكان يقال اربعه ترتفع الرحمة عنهم
اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصف لهم من دايه ومن
تعاطي ما لا يستقل باعبايه ومن بذر ماله في لذاته ومن قدم علي
ماحذر من افاته وكان يقال من بصرك فقد نصرك ومن وعظك
فقد ايقظك وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ومن
حذر وبصر فما غدر ولا قصر قال المضحك فالتزم العبد الشرط
واعطي من نفسه المواثق علي الوفا فتزوج العبد المراه وبلغ منها
امنيته فلبث معها مده فزارتها ترب لها فلمحها العبد فاعجبته
ومالت نفسه اليها فتبعها العبد الي منزلها وجعل يراسلها ويلازم
بابها فتبرمت به وشكته الي امراته فعاتبته امراته علي ذلك
وزجرته واذكرته العهود والمواثق ونهته فازداد العبد لجاجا
فلما رات ذلك منه سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه وجعلت
تستخدمه في كل مهانة فما شغله ما هو فيه عن ان هوي امة سودا
فجعل يتبعها في تصرفها ويتعلق بها ويودها فلما كثر ذلك علي
الامه شكته الي امراته التي سحرته وكان يقال انما طبع المطبوع
املك به من ادب المودب لان الطبع اصلي فتمده القوي الناشيه معه

صورة العبد يتبع العبده

alkoutob.blogspot.com

هو

فهو املك بالنفس التي هي محله لاستيطانه اياها وكثرة اغوايه
بها والادب طارٍ على المحل غريب به وكان يقال اضل المودبين
سعيًا من رام من المتادب ان يعاونه على نفي طبعه عنه وكيف
وطبعه اولى به واقرب اليه واثر عنده من مودبه لكن المودّب
الماهر من طالب المودَب بستر المذموم من طباعه وتعميته والتوريه
عنه قال المصنف فلما بلغ امراة العبد ما كان منه اشتد غيضها
عليه ثم سحرته فصار حمارًا فجعلت تكريه لمن يستعمله في اشق
الاعمال ويستحمله اثقل الاحمال فلبث بذلك مدة طويله ولم
يشغله ما هو فيه من البلاء عن ان هوي اتانًا فاشتد شغفه بها
وكان كلما راها نهق وطلبها اشد الطلب ويردعنها بالطرب فيلقى
من ذلك بلاءً شديدًا واتفق ان امرآة العبد التي سحرته زارت
ابنة ملك تلك المدينه فكانت في علو لها تشرف منه على ما حوله
وكان العبد في ذلك اليوم قد استاجره شيخ ضعيف البدن كبير

alkoutob.blogspot.com

السن فاحتمل عليه فخارا في جواليق ومر به على قصر ابنة الملك فراى عند القصر ذلك الاتان الذى يهواه فما ملك نفسه ان نهق وقصده وفعل ما تفعل الحمير عند مثل ذلك وجعل الناس يضربونه من كل جانب والفخار يتساقط عن ظهره والشيخ صاحب الفخار يصيح ويستغيث بالناس وجعل الصبيان والسفله يعطعطون من كل جهة والاتان فارة بين يديه ترمحه وهو يطلبها على تلك الحال فرات ابنة الملك ذلك فاعجبها واضحكها فقالت امراة العبد التي سحرته يا ابنة الملك الا اخبرك باعجب مما رايت من الحمار

صورة الحمار هاج على الاتانه وابنة الملك وزوجته في القصر ينظران

قالت لها بلى فقالت انه زوجي وقصت عليها خبر العبد . فاشتد تعجبها مما سمعته وسرت به ثم سالتها ان تبطل سحر العبد وتخلي سبيله فاجابتها الى ذلك فابطلت السحر عن العبد فصار بشرا

alkoutob.blogspot.com

سويا

97

سويًا ولم يكن له همّ الا الفرار من بلاد السند فلما انتهى المضحك
من حديثه الى هذا الموضع سكت وكان الملك يزدجرد اشتد ضحكه
لما سمعه من حديث المضحك ولما شاهده من حركاته في وقت
حديثه فلما سكن ضحكه وعاوده الوقار والابهة اقبل على المضحك
فقال له ويحك ما حملك على ان تكذب هذه الكذبة الشنعه
كانك ما علمت انا نحذّر الكذب على رعيتنا ونعاقبهم عليه وقد
قالت الحكماء الكذب كالسموم التي تقتل اذا استعملت مفرده وقد
تدخل في تركيب الادويه فينتفع بها فلا ينبغي للملك ان يطلق الكذب
الالمن استعمله في المصالح كالكذب في كيد الاعداء وفي تالف البعدا
كما لا ينبغي ان نطلق تلك السموم التي ذكرناها الا للمامونين عليها
المانعين لها من المفسدين فقال المضحك ايها الملك السعيد ان
هذا مثل ضربته يتضمن من الحكم ما يعود بمصلحة المرتاض به والذي
حملني على ذكره امر يلزم ستره عن غير الملك فاشار الملك الى
جلسايه فقاموا وخرجوا عن مجلسه ثم قال للمضحك هات ما عندك
فقال ان عبد الملك يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقال
الملك لمن فقال لابنة الاصبهبد فقال الملك لقد كان من بهرام في
الليلة ما يدل على صدقك ولا لوم على ولدنا في ذلك اذ لم يضع من
نفسه بحبه ابنة حافظ ملكنا وسيد اوليانا وسنبلغ ولدنا امنيته
ونحسن اليك باطلاعنا على امره فاكتم ذلك حتى ننفذ امرنا فيه
ثم ان يزدجرد اذن لولده ولندمايه وسماره ومطربيه فعادوا الى
مجالسهم واخذوا فيما كانوا فيه ورجع الى يزدجرد سروره وطربه

alkoutob.blogspot.com

الى انقضاء مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع المضحك بهرام واخبره
بالخبر على وجهه فشكر له ووصله ثم ان يزدجرد انكح ابنه بهرام
ابنة الاصبهبد ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضا بخدمة ابيه
حتى انقادت لما اراد منها فلبث بذلك الى ان قدم اخ لقيصر على
يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنه والموادعة فاكبر يزدجرد قصده
وعرف له فضله واحسن نزله فلما رآى بهرام منزلة اخي قيصر عند
يزدجرد استشفع به عند ابيه في رده الى النعمان فشفعه واذن
لبهرام فتحول الى بلاد العرب فكان فيها على ما احب الى ان هلك ابوه
يزدجرد وورثه ملكه قال محمد عفى الله عنه
هذه خاتمة سلوانة الرضى وقد عن لنا ان نذكر ما نكمل به بهجتها
وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث رعيته بعده وكيفية
مصير الملك الى ابنه بهرام وذلك مما ذكره المعتنون باخبار ملوك
العجم الفرس ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد عتوه وعدل عما نهجه
سلفه من العدل والرافة اجتمع وجوه رعيته من ذوي الصلاح عندهم
فدعوا الله على يزدجرد وسالوه معافاتهم منه فرحم الله ضراعتهم
واستجاب دعاهم وبينما يزدجرد جالسا في منزله دخل عليه حاجبه
فاخبره ان فرسا متوحشا عربيا قد جمع محاسن صفات الخيل فهو ذو
صورة لم ير الراوون مثلها جاء يشتد عدوا حتى قام بباب الملك
وان الناس يهيبوه فلم يجسر احد على ان يدنوا منه وان الخيل قد
نافرته فما تقدم عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من وصف
الفرس فنهض نحو الفرس فلما عاينه ملي اعجابا به ودنا منه فخضع

alkoutob.blogspot.com

له

له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته ووجهه وقبض بناصيته وامر
باسراجه والجامه فالجم واسرج فيقال ان يزدجرد استدار بالفرس
ومسح كفله فرمحه الفرس رمحة خر منها ميتاً وملا الفرس فروجه
عدواً فما عرف اين توجه **صورة الفرس رافسا يزدجرد**

ويقال بل ركبه يزدجرد وحركه فسبق الابصار حتى اتى البحر
فاقتحم به فيه والله اعلم اى ذلك كان ولما راى الفرس ان الله قد
اراحهم منه اجمعوا رايهم على ان يخرجوا الملك عن ولد يزدجرد خوفاً
من ان يسن فيهم مثل سنة ابيه فملكوا رجلاً من ابناء ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضياً عندهم فمحا ما شرعه يزدجرد
من المظالم واعفا الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس بركة
رايهم في تمليكه عليهم وانتهى الخبر الى النعمان فاطلع عليه بهرام
واخبره انه عضده وناصره وباذل نفسه وماله في مرضاته فشكر
له بهرام وامره بشن الغارات على اطراف بلاد الفرس مع الكف عن

alkoutob.blogspot.com

سفك الدماء فامر النعمان لعرب بفعل ذلك ففعلوه فاشتد ضررهم
وارسلوا الي النعمان يستعفونه ويسلونه العود الي حسن المجاوره فلما
انتهى الرسول الي النعمان قال لهم انما انا خادم الملك بهرام افعل ما
يامرني به فاذهبوا اليه فذهبوا فلما عاينوه ملاعيونهم جمالا وصدورهم
جلالا فخروا له ساجدين وسالوه العفو والصفح فاجمل خطابهم
وبسط اما لهم وامرهم ان يبلغوا من ورايهم انه حسن الراي فيهم
مومل لاصلاح شانهم وانه متوجه ليتولى اخبارهم عن نفسه واقامة
الحجه عليهم فليتاهبوا لذلك ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان
فكتب له عشرة كتايب في كل كتيبه الف فارس من انجاد العرب
ثم سار فيهم وسار النعمان بين يديه في جيش كثيف فلم يكن عند
الفرس لهم مدفع حتى انتهوا الي دار الملك فنزل بظاهرها وخرج اليه
زعماء الفرس وحفظة دينهم ونصب لبهرام كرسي فجلس عليه

صورة بهرام وامامه النعمان وزعما الفرس

وقام

59

وقام النعمان بين يديه وتقدم اليه القوم فسجدوا له وقاموا لديه
فاذن لهم في الكلام فتكلم رئيس الموابذه وحمد الله وذكر رافته بخلقه
ثم ذكر ما سار به يزدجرد من الجور والعسف وما فعل الله به ثم
اتبع ذلك بذكر كراهة الفرس لتمليك من ولده يزدجرد لما
يتخوفوه من سلوكه السبيل والده ولاسيما وقد نشا بين الاعراب
الذين يصلحون حسومهم باخراب الارض وسالهم ان يعفي الفرس مما
كرهوه فانهم لايملكونه طايعين ولايقصرون في دفاعه عن ذلك
بكل ما امكنهم فلما قضى رئيس الموابذه كلامه تكلم بهرام فحمد الله سبحانه
وشكر نعمته عنده وصدق رئيس الموابذه فيما نسب الى يزدجرد من الجور
والعسف ثم اتبع ذلك بذكر ما كان يتمناه من مصير الملك اليه
ليزيل رسوم الجور ويشيد قواعد الحق ويذيق الرعيه من حلاوة
رافته واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من غليظ جوره واساآته
ثم اعلمهم انه لايترك تراث ابيه ولاياَلوا جهدًا في تحصيله وانه مع
ذلك يدعوهم الى ان يضعوا تاج الملك وزينته بين اسدين ضاريين
ويحضر هو وكسري المتغلب على ملكه فمن اخذ التاج والزينه من
بين يدي الاسدين فهو بالملك اولي وذكر لهم انه انما يفعل ذلك
رافة برعيته وصونًا لهم عن مقاومته ودفاعه وذكر ثقته بنصر الله
وعونه لما يعلمه من حسن طويته وخلوص نيته ورغبته في اصلاح
الارض واهلها فرضي زعماء الفرس بما بدله بهرام من نفسه ورجوا
الراحة منه بذلك من غير مشقة تنالهم في دفعه وانقلبوا عنه
متعجبين من جماله وكماله وفصاحته واهبته ثم عمدوا الاسدين ضاريين

alkoutob.blogspot.com

فجوعوهما واخرجوهما الي ظاهر المدينه في تفصين من حديد وفي
عنق كل واحد منهما سلسله في طرفها وتد من الحديد فضربوا
الوتدين في الارض وجعلوا تاج الملك وزينته بينهما بحيث يمكن
كل واحد من الاسدين الوصول اليهما والدب عنهما وفتحوا باب
القفصين عن الاسدين فخرجا وقد اجتمعت امة عظيمه من الفرس
واجتمع العرب فقاموا بازايهم فخرج بهرام من قبته وقد شد وسطه
بمنطقته وجمع ذيوله اليها فقام بازا الاسدين بين الصفين ونادى
كسرى ان اخرج ايها المتوثب على ملكنا المتغلب على تراثنا عن ابائنا
فخذ تاج الملك الذي انتزعته عن اهله فاجابه كسرى انك اولى
بالتقدم الي ما اعطيت من نفسك لانك الداعي اليه المتبرع به ثم
انك تطلب الملك بوراثة وانا غاصب فدنا بهرام من الاسدين
ولا سلاح معه فلما راي رئيس الموابذه ان بهرام قد عزم على فعل ما
صورة بهرام وقد وثب على ظهر الاسد الواحد وقبض على الآخر

alkoutob.blogspot.com

بدل ناداه يا بهرام انك مستميت ولا اثم علينا فيك فقال بهرام
اجل انا جعلت ذلك على نفسي ولكن لرآفتي بكم ولا بد من فعله
فقال له موبد موبذان ان كنت لا بد فاعلا فتب الى الله بذنوبك
وتب اليه واستغنه فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله منها وسأله
العون ثم دنا من احد الاسدين فقصده الاسد فلما قصده راغ عنه
بهرام روغة ثم وثب من الارض فاذا هو على ظهر الاسد فضم الاسد
بفخذيه ضمة تبلدلها الاسد وفرج بين قوايمه وثبت بمكانه يلهث
وقصده الآخر فانتهى اليه والصق راسه براس الاسد الذي تحته
ولم تمكنه السلسلة من زيادة التقدم فقبض بهرام على اذنيه وجعل
يضرب براسه راس الاسد الذي تحته حتى سقطا جميعا ميتين
فقام بهرام قايما على قدميه وحمد الله على صونه وعونه وازال
دبوله من منطقته وتناول تاج الملك وزينته فوضعه على راسه
فناداه كسرى الذي كان الفرس ملكوه ليهن بهرام الملك ابن الملوك
ما اعطاه الله من ميراث سلفه وكلنا له سامع ومطيع ثم ارتفعت
الاصوات من الفرس بالدعاله وتقدم اليه موبذان موبد فاخذه
بيده واجلسه على سرير ملكه وشدله زينته وناءله بالطاعة
وتتابع زعماء الفرس الى ذلك وركب بهرام فدخل المدينه ونزل بقصر
ابيه وفرق الاموال في ذوي الحاجات واهل النجده وحبا النعمان
وتوجه وشرفه واجاز العرب الذين صحبوه باسرهم على اقدارهم ثم
وفى لرعيته بمواعيد عدله واحسانه ولم يزل محمودا فيها حتى هلك
وقد دون الفرس له اخبارا عجيبه اودعنا منها خبرين نادرين كتابنا

alkoutob.blogspot.com

المسمى ابناء نجباء الابناء وبعد فلله الحمد بما هو اهله

السلوانة الخامسة

قال ربنا تقدس اسمه مخاطبا احلم من استخلفه في ارضه واعلم من كلفه ما يرتضيه الذي كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه ويخفيه لا تمدن عينك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه هذا بعد ان خيره بين ان يكون نبيا ملكا او يكون نبيا عبدا فاختار فقر الملك على غناء الملك

قال له جبريل عن ربه خيرت فاختر يا دليل الهدى
نبوة في حال عبدية تحوي بها القدح المعلا عدا
او حال تمليك تخر العدى بين يديه ضعفا سجدا
فاختر ما تحظى به اجلا لله ما اهدى وما اسعدا

خبر نبوي في زهد الملوك من حديث ابن مسعود رحمه الله قال ان ملكا ممن كان قبلكم بينا هو في ملكه ادركه الخوف من الله سبحانه قال فترك ملكه وخرج حتى اتى النيل وكان على شاطيه يضرب اللبن يعني الطوب ويقتات به فسمع الذي كان في ارضه بخبره فارسل يقول له كن بمكانك حتى الحق بك وترك الاخر ملكه ثم لحق به فكان امرهما واحدا الى ان هلكا قال عبد الله ابن مسعود فلو كنت بمصر اوريتكم قبريهما بما نعته لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

صورة الملكين يضربان اللبن

alkoutob.blogspot.com

ورويناه بلفظ آخر وهو ان عبد الله بن مسعود قال بينا رجل في موكبه
تذكر فعلم انما هو فيه منقطع وانه قد شغله عن عبادة الله فانسا
عن قصره ليلاً وصار الى مملكة غيره فاتى ساحل البحر يضرب اللبن
ويغتذي من ذلك فبلغ الملك الذي كان في بلاده عبادته فركب
اليه فساله عن حاله فقال انا فلان صاحب ملك كذا علمت ان ما كنت
فيه منقطع وانه قد شغلني عن عبادة ربي فقال له ما انت بما صنعت
باحق مني ثم خلا سبيل ملكه وتبعه فكانا يعبدان الله عز وجل
وسالاه ان يميتهما جميعًا فماتا جميعًا قال ابن مسعود لو كنت بمصر
لاريتكم قبريهما بالنعت الذي نعتهما لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

منثور ومنظوم من الحكم الزهدية

روي ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال
يا امير المومنين هذا سرور الا انه غرور ونعيم الا انه عديم وملك

alkoutob.blogspot.com

الا انه هلاك وفرح لو لم يعقبه ترح ولذات لو لم تقترن بآفات وكرامه لو صحبتها سلامه فبكى سليمان حتى اخضلت لحيته دمعا

ومما قلت في ذلك

يا متعبا لكده الحرص في الفصول وكاده
لو حزت ما حاز كسرى وما حوى وافاده
ما كنت الا معنا ومغرما بالزياده
لم يصف في الارض عيش الا لاهل الزهاده
فرض على الزهد نفسا فانما الخير عاده

حذار حذار من دار هي شر دار حرامها سم ناقع وعذاب واقع وحلالها نصب شاسع وامل واسع دنياك دار غرور ومتعة مستعاره ودار كسب وكسب ومغنم وتجاره وراس مالك نفس فاحذر عليها الخساره ولا تبعها باكل وطيب عرف وشاره فان ملك سليمان لا يفي بشراره

ومن قصيدة لي مثل ذلك

انا بدار تردي محاربها وتحفر الالـ ـفي موادعها
وتستفز الحكيم عن سنن القصد وتغني على مخادعها
من رام ابقاها عليه فقد حاول ما ليس في طبايعها
اسرع ما تنتحي بوايقها يوما اذا استجمعت لجامعها
فتة عليها وارباً بنفسك عن طلابها واقتفاء بايعها
واشفق عصابة الغرور لها واندر صرعاها الى متابعها
عمري لقد انذرت منددة ناصحة نصحها لسامعها

alkoutob.blogspot.com

مودنة ابنها مودية لساعة اه من فواقعها
والامن والله من فجايعها يضمنه الزهد في مطامعها

ومن ذلك

راعك الزهد انما الزهد رفض لفضول تلهى وتطغى وتردي
ثم لا يمكن الزهادة المقسوم رزقا بل في ضروب التعدي
مرحبا بالكفاف عفوا هنيا ثم لا مرحبا بحرص وكد
ما علمنا وقد راينا كثيرا وسمعنا من حاز حدا بجد
لا يزال الحريص يسامه الحرص بنصب من الشقا ونكد
ثم لا يستطيع ان يتعدى قدرا ما الحكمة من سرد

قيل ان خرقة بنت ابي قابوس النعمان ابن المنذر استاذنت بالقادسية
على سعيد ابن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت في جواريها
وعليهن المسوح ومقطعات السلب السود فراى منظرا شعثا ولم

صورة خرقة وجواريها قد دخلت على سعيد ابن ابي وقاص

alkoutob.blogspot.com

تتميز له خرقه من جواريها لمشاركتها اباهن في الزي وكن رواهب
فسلمن عليه فقال ايكن الحرقه فقالت الحرقه ها انا ذه فقال انت
خرقه قالت نعم فما تكرارك استفهامي ايها الامير ان الدنيا دار
قلعه وزوال فما تدوم على حال تنتقل باهلها انتقالا وتعقبهم
حالا بعد حال وانا كنا ملوك هذه الارض يجبى الينا خراجها ويطيعنا
اهلها مدى المده وزمان الدوله فلما دبر الامر وصاح بنا صايح
الدهر فصدع عصانا وشتت ملانا وكذا الدهر يا سعد انه ليس
من قوم اتحفهم بخيره الا اردفهم بغيره ولا اسعفهم بفرحه
الا اعقبهم بترحه ثم انشدت

بينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

وبينما الحرقه تخاطب سعدا رضي الله عنه دخل عمرو ابن معدي
كرب الزبيري على سعد فنظر الى الحرقه فقال لها انت حرقه
التي كانت تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن
بالوشي قالت نعم فقال لها عمرو فما الذي دهمك واذهب محمودات
شيمك وغور ينابيع نعمك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق
السيد من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة وتذل ذا
المنعه وان هذا امرا كنا ننتظره فلما حل لم ننكره ثم ان سعدا سالها
عما قصدت له فاستوصلها واجزل صلتها وقضى حوايجها ولما
فصلت عنه سيلت ماذا لقيت فانشدت

صان لي ذمتي واكرم وجهي انما يكرم الكريم الكريم

alkoutob.blogspot.com

واحد

روضة رايقة ورياضة فايقة

قال محمد عفى الله عنه نذكر ان شا الله من زهد الملوك ما يناسب
الخبر النبوي الذي قدمناه انفا وهو زهدهم في الملك ونبذهم له
وتخليهم منه ولا نعرض لذكر من زهد في نعيم الملك ولم ينبذه
لاستقلاله باعباء سياسة الخلق بالحق واعباء العباده والزهاده
مع ذلك كداود وسليمان في النبيين عليهم السلم وكابي بكر وعمر
في الخلفاء المهذبين رضي الله عنهم فان هذا الفن يخرج عن هذا
الترتيب ولا يندرج في هذه الاساليب والله المستعان فمن ذلك
ما بلغني ان معويه ابن ابي يزيد بن معويه رحمة الله كان على صغر
سنه عاملا عالما متبتلا قد ذلل نفسه بالتقوى وغرق بها عن
زينة الدنيا افضت الخلافه عليه وسنه سبع عشرة سنة فخامره
الندم على تحملها واطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه ولبثوا عشرين
ليلة يناظروه فيها ويهونونه عن اظهار كراهيتها فلما راوا انه
غير منته وانه لا بد له من خلع نفسه دعوه الى ان يعهد لاحدهم
فقال كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد تبعة عهدها ولو كنت
موثرا بها احدا لاثرت نفسي ثم انه خطب الناس فذكر لهم عجزه
عن القيام بامرها وعهد اليهم ان ينظروا لانفسهم واحلهم
من بيعته وانصرف فاغلق بابه ولم ياذن لاحد فلبث بعد ذلك
خمسه وعشرين يوما ثم لحق بالله سبحانه وقال علي بن الجهم

ثم ابنه معيه المضعف كان له دين وعقل يعرف
وترك الناس بغير عهد توقيا منه وفضل زهدي

alkoutob.blogspot.com

قال محمد عفى الله عنه كلام علي ابن الجهم هذا يتضمن ان معوية مات ولم يخلع نفسه والمعروف ما ذكرته وانما قال معيه لان الناس استضعفوه لتركه الخلافه ولذلك كنوه ابا ليلى وهي كنة المستضعف وبلغني ان السبب الباعث له على الزهد في الخلافة والبذلها انه سمع جاريتين له يتلاحنان وكانت احداهما بارعة الجمال فقالت الاخرى لقد اكسبك جمالك كبر الملوك فقالت لها الحسناء واي ملك يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك فهو الملك حقا فقالت لها الاخرى واي خير في الملك وصاحبه اما قايم بحقوقه وعامل بالشكر فيه فذاك مسلوب اللذه والقرار منغص العيش واما منقاد لشهواته موثر للذاته مضيع للحقوق مضرب عن الشكر لمصيره الى النار فوقعت الكلمه في نفس معويه موقعا موثرا وحملته على الانخلاع من الامر

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل كان عدي ابن زيد العبادي التميمي قد دخل ارض الشام رسولا لملك الفرس فاقتبس من علومهم وقرا الكتب وكان ذا مكانة من ملك الفرس وكاتبا وترجمانا له وكان ابوه زيد والي على الحيره وخليفة للمنذر ابن ماء السماء فكان عدي ابن زيد عند ملوك الحيرة لاجل ما ذكرناه في اعلا المراتب قالوا احضر يوما وهو بالخورنق والخورنق قصر قدمنا ذكره فاشرف النعمان على ما حول الخورنق وذلك في فصل الربيع فتامل مليا ثم اقبل على عدي ابن زيد فقال يا عدي اكل ما تري الى نفاد

alkoutob.blogspot.com

وزوال

64

وزوال فقال عدي قد علم الملك ان الامر على ما ذكره فقال النعمان
واي خير فيما يفنا ويبيد ثم قل ما لبث ان تنصر وترهب وساح في
الارض وقيل بل كان معجبا بالزهر المسمى شقايق النعمان واليه
ينسب لانه كان يتبع رياضه وبحبه وانه قصد يوما من ايام الربيع
غب سماء شقيقة قد كساها ذلك النور والشقيقه رمله مستطيله
فلما عاين تنضد ذلك النور في منابته وتفنن حمرته وخضرة سوقه
وتموجه بهبوب النسيم عليه وتناثر قطر الندا من ارجايه راى منظرا
بهيجا فامر فبسط له بازاء تلك الشقيقه بساط موشى من الحرير
فكانما كان روضة محتفه باصناف الزهر ونصب عليه قبه من الديباج
الاحمر وقد شحنت من المقاعد والحشايا والنمارق والمساند بما يضاهيها
ويجانسها ولبس من الحرير المصبوغ بالبهرمان وهو العصفر افضل ما
يمكنه وجلس في قبته تلك مواجها للشقيقه وحوله ندماوه وملهوه

صورة النعمان وندماه وهو متوشح بالثياب الحمر وامامه الشقيقه

alkoutob.blogspot.com

وعنده عدي ابن زيد فشرب وطرب ودبت فيه الراح فارتاح ثم
اقبل على عدي يخاطبه بما ذكرناه انفا فلما سمع عدي مقالته .
اهتبل فرصة موعظته بما حكيناه وازمع الزيادة في ايقاضه من غفلته
فامهله حتى انقضى اربه من مجلسه ذلك وركب فسايره عدي
الى ان مرا بقبور بظاهر الحيره فقال عدي للنعمان ابيت اللعن
ايها الملك اتدري ما تقول هذه القبور قال لا قال عدي انها تقول
• ايها الركب المخبون على الارض المجدون كما انتم كنا وكما نحن تصيرون •
فلما سمع النعمان مقالته راجعته فكرته السالفه وظهر عليه
الانكسار ثم امر بشجرات متناوحات بينهن ناحيه فيها عين جاريه
فقال عدي للنعمان اتدري ما تقول هذه الشجرات فقال عدي انها
تقول

من رآنا فليحدث نفسه انه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا تبقى لها ولما ياتي به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والاباريق عليها فدم وعتاق الخيل تردي في الجلال
عمروا دهرا بعيش حسن امنين دهرهم غير عجال
ثم اضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يردي بالرجال
وكذاك الدهر يرقي بالفتى في طلاب العيش حالا بعد حال

ويقال ان ذلك كان بينهما في موطن آخر وانه اشار بقوله هذا الى
قبور كما اشار به اولا قيل لما بلغ النعمن الى قصره قال لعدي اذا كان
السحر فاحضر فان عندي خبرا اطلعك عليه فلما كان السحر حضر عدي

alkoutob.blogspot.com

فوجد

فوجد النعمان قد لبس مسحًا واخذاهبة السياحه فودعه وذهب
ولم يعلم له خبر وعندي ان المترهب السايح هو النعمان بن المنذر
الاكبر ولم يدركه عدي ولكن ذكره في شعره والذي ادركه
النعمان بن المنذر الاصغر وان عديا بنهيه بما حكى عنه تنبهًا افضى
الى تنصره لا سياحته بل هو الذي قتل عديا وبقي في ملكه الى ان
قتله كسرى والله اعلم اي ذلك كان وبالجملة في ذلك قال عدي
ابن زيد حيث يقول

ايها الشامت المعير بالدهر انت المبرا الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الايام ام انت جاهل مغرور
من رايت المنون خلدن ام من ذا عليه من ان يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك ابو ساسان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الملوك ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرًا وجلله كلسًا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون وباد الملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ اشرف يومًا وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضًا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

روضة رايقة ورياضة فايقة

alkoutob.blogspot.com

حكي ان ملكاً من ملوك اليونانيين قام من منامه في بعض
الغدوات فاتته قيمه ملبسه ثيابه فلبسها ثم ناولته المرآه .
فنظر فيها فراى شيبة في لحيته فقال هات المقراض يا جاريه فاتته
به فقص الشيبه فتناولتها الجاريه وكانت لبيبه اديبه فوضعتها
في كفها واصغت اليها باذنها ساعة والملك يتاملها فقال لها
الملك ما تصنعين فقالت استمع ما تقول هذه الشعره التي
عظم مصابها بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك
فاقصاها فقال لها فما الذي سمعت من قولها فقالت زعم قلبي
انه سمعها تقول

كلاماً لا يجتري لساني على النطق به لاتقاء سطوة الملك فقال
لها الملك قولي على حال امنة وعدم توق ما لزمتا سلوب الحكمه
فقالت انها تقول ايها الملك المسلط الى امد قصير قد كنت ظننت بك
البطش والاعتداء علي فلم اظهر على سطح جسدك حتى نبتت وحضنت

يفضي

alkoutob.blogspot.com

ببضي حتى افرحن وعمدت الى بناتي في الاخذ بثاري عمدًا وكان
قد فرحن فعجلن الاخذ بثاري منك اما باستيصالك واما بتنغيص
لذتك وتنحيف قوتك حتى تعد الهلاك راحة فقال الملك
اكتبي كلامك هذا فكتبته له فتصفحه مرارًا ثم نهض مبادرًا
فاتى هيكلًا من الهياكل التي يعظمونها فنزع عنه ملبس الملك
وتزيا بزي نساك الهيكل وبلغ ذلك اهل مملكته فبادروا اليه
وطالبوه بالعود الى محل ملكه وتدبيره فامتنع وسالهم اقالته
وتمليك غيره فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصلح النساك
بينهم ان يتركوه في ذلك الهيكل يعبد ربه ويستكفي لما يستناب
في مثله من امور رعيته ويلي غير ذلك بنفسه فلبث على ذلك الى
ان هلك

روضة رايقة ورياضة فايقة

بلغني ان ملكًا من ملوك الاول كان كافرًا شديد العتو والتكبر حديث
السن مستحكم العزة وكان ذا ركب لا يستطيع احدٌ ان يرفع صوته
الا بالثنا عليه والمدح له والشكر لاحسانه وكان له وزير نصراني
مومن يكتم ايمانه ويتحين وقتًا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك الى الله
فركب الملك يومًا فسمع شيخًا قد رفع صوته لبعض شانه فقال
للشرط خذوه فلما اخذوا الشيخ قال ربي الله فقال الوزير للشرط
خلوا عنه فخلوا عنه فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكنه
الانكار في ذلك الوقت ليلا يظهر للناس ان الوزير يخالفه فيما يامر به
وسكت ليوهم الناس ان الوزير انما امر بما اراد الملك فلما انصرف الملك

alkoutob.blogspot.com

الي مستقره احضر الوزير فقال له ماذا الذي دعاك الي مناقضة امري
بمشهد من عبيدي فقال الوزير ان لم يجعل الملك اربته وجه نصحي
واشفاقي وحوطتي عليه فيما اتيته فقال الملك ارني ذلك فاني لا
اعجل عليك فقال الوزير اريد ان يحتجب الملك في مجلسه هذا ويكون
بحيث يري ويسمع من حجابه ففعل الملك ذلك ثم ان الوزير احضر
قوسا صنعها للملك بعض خدمه وكتب الصانع اسم نفسه عليها
فناولها غلاما بحضرته وقال للغلام اني محضر صانع هذا القوس
فاذا احضر واقبلت عليه بالمحادثه فاقرا الاسم الذي علي القوس حتي
تعلم ان صانعها قد سمعك ثم اكسرها وحضر القوس وفعل الغلام
ما امره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك صانعها ان ضرب وجه
الغلام فشجه فقال له الوزير ويحك اتضرب غلامي بحضرتي

صورة الملك في مخدعه والوزير والقواس وغلام الوزير

فقال القواس ان القوس عملي ايها الوزير وهي في غاية الجوده فلاي شي

alkoutob.blogspot.com

كسرها

كسرها فقال له الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال بلى لقد اخبره
القوس انها عملي فقال الوزير كيف تخبره القوس فقال ان هذا خطي
عليها بذلك وقد قراه وانا اسمعه فصرف الوزير القواس ثم
اقبل على الملك فقال له قد رايت ايها الملك وجه نصحي واشفاقي
عليك بما كان فان الملك لما اراد ان يسطو على الشيخ اخبره ان الله
ربه فخفت على الملك ان يبطش به رب الشيخ وليس يقوم لبطشه
شي فقال الملك للوزير وهل للشيخ رب غيري فقال له الوزير
الم تره شيخا والملك شاب فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد الملك
لا رب له فقال الملك لا بل كان ابو الملك ربه فقال الوزير فما بال
المربوب بقي بعد هلاك ربه فقال الملك للوزير لقد قدحت في كبدي
بنار غير صالدة ولقد علمت الان انه يجب ان يكون للملك والمملوك
جميعا رب لا يزول فهل تعرفه فتدلني عليه فقال الوزير نعم اني اعرفه
فقال الملك ادللني عليه اكن لك تبعا ما بقيت فقال الوزير اما دلالتك
عليه فاول ما يجب لك علي واما اتباعك لي فلئن فعلته فانما يتبع
عبدك الذي يفتك بنفسه ما يريبك ثم ان الوزير تلطف في دلالته
على الله سبحانه وشرح الله صدر الملك لقبول ذلك فامن بالله سبحانه
ثم قال لوزيره اما لربنا خدمة اذا احسنها عبده حظي بها عنده
فقال الوزير بلى ان له وظايف عبادة امر بها خلقه ورضي لهم
فعلها ووعدهم عليها رضوانه والقرب منه وذكر له الصلاة والصيام
على مذهب المسيح عليه السلم فجعل الملك يرتاض حتى رسخ في علمها
وترتب على العمل بها ثم ان الملك قال للوزير ما لك لا تدعو الناس

alkoutob.blogspot.com

الى الله كما دعوتني فقال ما معناه ايها الملك ان الان امة ذات قلوب
قسية وفهوم قصية ونفوس عصية ولست آمنهم على دمي ان تفوه
لهم في بذلك فقال له الملك اني فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال
الوزير ليعلم الملك انهم ان لم تردهم هيبته عني لم تردهم عنه وساجعل
نفسي وقاء لنفسه وانهم سيقتلوني لا محاله فلا يجتري عليهم
الملك بمثلها بعدي ثم ان الوزير استدعى الى داره وجوه تلك المملكه
وذوي تدبيرها وولاة احكامها واهل النسك والحلم منها فلما
اجتمعوا في داره قام فيهم خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فثاروا
اليه فقتلوه ثم صاروا الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم
وقالوا له انا ظننا ان الملك على مثل رايه ونحب معرفة ما عنده
فارضاهم بالقول وادهن لهم وصوب رايهم في قتل الوزير فانصرفوا
راضين عنه وقل ما لبث ذلك الملك ان نبذ ملكه ولحق بالرهبان
فكان معهم الى ان توفاه الله عز وجل

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل ان ازدشير ابن بابك ابن ساسان ولد له في حداثة سنه وبدو
امره ولد فسماه بابك باسم ابيه فنشا رايع الصورة بارع الخلق
فشغف به ازدشير حبا والزمه فيلسوفا ماهرا في الفلسفه راسخا
في الحكمة متحليا بالزهادة وساله ازدشير ان يتخذه ولدا فاقتطعه
الفيلسوف عن ابويه وولي تربيته وتدريجه الى ان اضطلع باعباء علوم
الفلسفه وتبوا متبوي الزهد ولما سعى ازدشير في ضم كلمة الفرس

alkoutob.blogspot.com

فضم

فتم له المراد واعطته ملوك الارض القياد اسمد اي ولده بابك
فيما فاته من المهمات فظفر منه باضعاف منيته الا انه كان لا يشاهد
ويشافهه الا نغص اليه الدنيا تنغيصا لمعايبها وتعريفا لشوايبها
وتخويفا من عواقبها وكان ازدشير منغص اللذة والمسرة بولده لاجل
ذلك وكان يقال قلما تتوفر فكر الملوك على امر واحد حتى يطول
عنايتهم به على انفراده وذلك لكثرة ما يجاذب خواطرهم من الامور
حتى اذا توفر فكرهم على امر اجتمع لهم اوشك ان يحكموه فاذا رايته
قد اجتمع لامر وواضب عليه فلا تتعرض له بغيره فيحول بينه وبين
الفرصة التي تقل ظفره بها قيل وكان ازدشير يحتمل ذلك لولده
شغفا به وتالفا له واتقاء عليه فقال له يوما يا بابك اتعرف
اباك فقال بابك ان لي بها الملك السعيد ابوين ابا كان علة كوني
وابا كان علة بقاي وانا بهما عارف فقال له ازدشير صف لنا
اباك الذي كان علة كونك فقال بابك ما معناه انه ملك ملا العيون
بهاء والاسماع اباء والصدور هيبة والقلوب محبة ذو رافة شاملة
وقضية فاصلة وسيرة عادلة وحزم اخاف قلوب المريبين من السباع
الضارية والافاعي الحاوية فالاشباح رقت لسيفه وحرمته والارواح
رقت لسنته وحرمه فقال ازدشير يا بابك فصف لنا اباك الذي كان
علة بقايك فقال ما معناه انه حكيم عرف فضيلة نفسه فراها
ارضا اريضة انيقة بكل خير خليقة ذات مياه نابعة واشجار فارعة
وثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل الا انه الفاها ماوى لاسد
الغضب ونمور الجهل وذياب الغدر وخنازير الشهوة وكلاب الحرص

alkoutob.blogspot.com

وضباع الحمق وحيات الظلم وعقارب الحسد فنفي عنها هذه الافات كلها
وحصنها منها فصارت خيرًا محضًا لا شر فيه فلما سمع ازدشير مقالة
ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد فيه نابذ له فساه ذلك ثم اقبل
عليه فقال له يا بابك ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف بها ان يكون مربوبًا
مقهورًا مع تمكنه من ان يكون ربًا قاهرًا فقال ما اجدر الملك السعيد
بالصدق واحراه بالاصابه ولكن اذا اذن لي الملك السعيد ضربت له
مثل الرب القاهر والمربوب المقهور فقال ازدشير هات ما عندك
من ذلك فقال بابك ذكر ان فيلًا كان مكرمًا عند بعض الملوك
وكان ربيبًا انيسًا اديبًا وانه صيد لذلك الملك فيلًا وحشيًا فعسرت
على السواس رياضته وتعذر عليهم تانيسه فراوا ان يجعلوه مع
الفيل الانيس الاديب ليانس به ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك فازداد
نفارًا وتوحشًا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع
له فنال منه الجهد وان الفيل الربيب قال له يومًا لقد جنيت على
نفسك شرًا واسات النظر لها لجهلك ولو علمت ما يراد بك من الخير
لم تفعل ما فعلت ولكنه كان يقال الغرة باب يحجب الالباب عن صوب
الصواب وكان يقال الجاهل ميت الاحيا وذلك لتهوره وفساد تصوره
وكان يقال لا تبح كرامتك غير طالبها كما لا تنكح كريمتك غير خاطبها
فقال الفيل الوحشي للربيب ما الذي يراد بي قال يطيب علفك ويستعذب
موردك ويتنضف مسكنك وتوكل بك خدمة يكلونك ويراعونك
ويجعل لبروزك اوقات معلومه منتظره يحتشد الناس لها فتجلل
الديباج ويضرب بين يديك بالات تهيج الطرب وتبعث على الاختيال

alkoutob.blogspot.com

ع

69

ثم تبتن مكرما معظما لا يعارضك دابه ولا يهب عليك للهون
هابه فقال الوحشي للربيب لاختبرن ماذكرت فنزع توحشه
ونفاره وتاني لما يراد منه وكرم ونعم وخدم وعظم ولما اقبل
يوم الزينة بولغ في تكرمته وتنضيفه وجلل بالديباج وشد على
ظهره سرير مزين وصعد عليه المقاتله عليهم الدروع والخود
وبايديهم عمد الحديد وركب على عنقه دراع بيده كلاب والبست
فنطسته الزرد وشد على طرفها قايم سيف وقبض سواسه على
نابيه عن يمين وشمال وبايديهم عمد الحديد وعليهم الدروع وضربت
بين يديه الطبول والصنوج وسار على تلك الحال حتى بلغ المراد منه

صورة الفيل مزينا

فلما عاد الى ماواه قال لذلك الفيل الربيب قد بلوت حقيقة ما حدثتني
به وانت زيادات احببت ان سلك عنها قال ما هي قال ما كانت تلك

alkoutob.blogspot.com

الاثقال التي حمل ظهري فقال الربيب وليك المقاتله على سرير ومعهم
آلات القتال قال فما ذاك الذي شدت على فنطيستي والذي صير
على طرفها وما اراد القابضان علي والراكب على عنقي فقال له الربيب
اما الذي سترت به فنطيستك فدرع يحصنها لانها مقتل واما الذي
ربط اليها فسيف تضرب به في العدو واما القابضان على نابيك
فانهما يذبان عنك الاعداء ويعينانك على الاقدام واما الراكب على عنقك
فيهديك الوجه الذي يراد منك سلوكه فقال الفيل الوحشي لامر ما
طيب علفي واستعذب موردي ونظف بدني ومسكني ونوه باسمي
وجمل ملبسي واني لارى امرًا لا يقوم خيره بشره ولا يفي نفعه بضره
وبعد فلاكونن احرص الحراص في التماس الخلاص فانه كان يقال
اذا كانت الحاجه تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته
فالناس عبيد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها وكان يقال اذا كانت
العبديه كناية عن خدمة والحاجة اليه فاعبد العبيد ثلاثة
الملك والمحب والمنعم عليه لاستيلاء العبودية على ظاهرهم وباطنهم
والملك اعبد الثلثه وذلك لان الرعيه تستخدم باطن الملك وظاهره
في تدبيرها وتاديبها وصونها من عدوها وعونها على مصالحها
وردع ظالمها ونصر مظلومها وتامين سبلها وسد ثغورها والاعداد
لما ينعشها في الجدوب ولما يحصنها في الحروب وجباية فضول اموالها
وصرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب هيجانها وازاحة علل
فتنها وهرجها هذا مع شدة حاجة الملك الى رعيته في صون نفسه
وتنفيذ امره وامحاض نصحه ودفع عدوه فلما سمع الفيل الربيب مقالة

alkoutob.blogspot.com

الوحشي

الوحشي تبين له انه اولى منه بالغرة والتهوّر وفساد التصوّر
وقلة حق قال الحكيم الجهل يحجب العيان ويقلب الاعيان وقالوا
لا يزال الخاطي مرجوًا ما لم يخامره الاعجاب بخطيته فاذا اعجب حجب
ثم قال للوحشي اني كافيك عن نصحك اياي وتبصرك لي بان افتح لك
باب الحيلة الى نجاتك لاني ابصر منك باخلاق الانس وعاداتهم واهدي
الى وجه الخلاص منهم وسأتبعك فاكون خادمًا لك ما بقيت ثم
انهما اتفقا على ان تظاهرا بالزجر وداء يصيب الابل والفيلة في اعجازها
فاذا قامت ارعدت افخاذها حتى تكاد تسقط فتعالج بالفصد وتحمل
على السير الهون فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداوا تهما
واخرجوهما الى الصحراء فسيروهما فلما بعد الفيلان عن العمارة
وامكنهما فرصة الهرب شردا فلحقا بالفيلة المتوحشة فهذا ايها الملك
السعيد مثل ما ذكرت فلما راى ازدشير مقالة ولده بابك اطرق
مغمومًا في امره وقد ايس من اجابته الى ما يريده منه ثم انه نهض
وامر بابك باتباعه فاتبعه حتى ادخله بيوت امواله ومستودعات
ذخايره فجعل يريه اياها وينبهه على مراتبها حتى اتى على اخرها ثم
اقبل عليه فقال له يا بابك لمن تترك هذه اتتركه لمن هو احب اليك
من نفسك واحق به منها فقال له بابك ان اذن لي الملك السعيد ضربت
له مثلًا فيه جواب ما سالني عنه فقال له ازدشير هات ما عندك
في ذلك فقال بابك زعموا ان راعيًا كان يرعى بقرًا على اهل قرية
فيحسن لبقرهم السراح والمراح فلبث بذلك مدة طويلة من الزمان
وهم به مغتبطون وعليه مثنون لما يعرفوه من بركة سعيه وتثمير

alkoutob.blogspot.com

دعيه وكانوا لا يسلونه عن شي من امر بقرهم التي اسلموها اليه رضى به
وطماينة الى امانته وكفايته وكان يقال الموثوق موموق والامين
بالمودة قمين وكان يقال الاحسان والامانه مملقان بكل لسان نافعان
عند كل انسان قيل وكان الراعي ياوي عند المقيل الى صومعة راهب فيقيل
في ظلها ويكثر التاوه والانين لما يناله من النصب فيما يعانيه وكثر
ذلك منه على الراهب الى ان خامرته له رقه فاطلع عليه يوما فقال

صورة الراعي والبقر والراهب مشرف عليه من الصومعه

ايها الشيخ الراعي مالي اسمعك تكثر الانين والتاوه فقال الراعي ذلك
لما اتجشمه من حفظ هذه البقر والذب عنها وتتبع المراعي الخصيبه بها
فاني اقوم من ذلك بما يعجز عنه غيري واحمل على نفسي المشقات في حقها
فقال الراهب وما الذي دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح غيرها ونفسك
اقرب اليك واحق بسعيك فقال الراعي لو لم افعل ذلك لما بلغت هذه
البقر من السمن والوفور ما ترى ولقد كانت يوم وليت امرها قليلة

alkoutob.blogspot.com

العدد

العدد كثيرة العجف بكية الضروع لا ترين فناء ولا تملا آناء فقال
الراهب لقد حدثت عن مسلتي حيدة من لم يولها اقبالا ولم يلق بها
بالا اني انما سالتك عن سبب حمل نفسك لغيرها وايثارك من سواها
بخيرها فاخبرتني بشديد عناك وسديد اعتناك فاخبرني الان
عما افادك حميد سعيك وسديد رعيك فقال الراعي افادني الغناء
بهذه البقر لاني اكل من لحوم ما سقط منها ما شيت واطعم من شيت فهي
علي الحقيقة لي وبيدي فقال له الراهب هكذا زعم راهب كان ذا بله
ثم صح عنده بطلان ما زعم قال له الراعي اخبرني عن ذلك فقال
الراهب انه كان سايح مترهب نمر في سياحته بدير كان حسن البناء
قد تشلمت حيطانه وهو بمكان طيب نزه وبين يديه ارض اريضه
فيحاء ذات ماء عذب وفي ذلك الدير رجل من ضعفاء الرهبان
ومساكينهم فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن جلدا معمارا
فاصلح ما تثلم من جدران الدير وعمر الارض التي عنده فاحتفر سواقيها
واجري ماها وغرس فيها صنوف الاشجار فدرت منافع الدير
وقصده الرهبان فاوطنوه وسادهم ذلك السايح واتخذ العبيد والدواب
واله عمارة الارض واستضاف الي ارض الدير ما جاورها وغرس فيها
من الكروم والزيتون واللوز شيا كثيرا فعظمت المنافع وكثرت
الجبايه ورغب السايح في جمع الدنيا فحرم المساكين واتخذ كنزا نفيسا
في اقرب مده وكان يقال المال كالماء فمن استقطره منه ولم يجعل له
مسربا يتسرب فيه ما زاد علي قدر الحاجه غرق به وكان يقال
المواساه في المال والجاه عوده بقايهما ولما عامل الراهب السايح من

alkoutob.blogspot.com

من عمّر الدير معه بالحرمان واستاثر دونهم بالمال الكثير واشكا بيه
فقبحت المقالة فيه واجترى عليه من كان يهابه وافضت الحال بهم
الى مكاشفته فجاهروه ودعوه الى الانصاف والمواساه فيما بيديه
فقال لهم كيف اعطكم مالي الذي كسبته بيدي وكدي واستفرغت
في تحصيله جهدي قالوا له بل هو مال الله ولكل احد منا فيه حق

صورة الراهب والرهبان

ولك الفضل علينا بتنميته وصونه فقال لهم ستعلمون مال من هو
ولما جن الليل عليه امر عبيده فعقروا الف داليه والف زيتونه
والف لوزه فاصبحت مصرعة في اشنع منظر فاتوا السايح فاخبروه
بما حدث وهم لا يعلمون انه هو الفاعل لذلك فزجرهم وقال لهم انه مالي
فلا عليكم منه بقي او ذهب فثاروا عليه فاهانوه وضربوه ثم طردوه
فخرج من الدير على الحالة التي دخلها فلما حصل بظاهر الدير صرح
طرفه فيما كان غرسه وعمره فراى منظرا رايعا فتنفس الصعدا

alkoutob.blogspot.com

تحسرا

تحسرًا على ذهاب شبابه وقوته وريعان عمره فيما لم يجد عليه
طائلًا ثم كانت عاقبته الى مزايلته والانسلال منه على حال مهونة
وفاقة وضعف فقال يحيى قالت الحكماء الدنيا سبيل يعبر ولا يعمر
وممر سالك لا مقر ساكن وقالوا الدنيا جسر من عبره باعتبار افضى
الى قرار في مسار ومن عمره باغترار افضى الى دمار وتبار وقالوا
الدنيا قريب سلبها من سلمها وحفظها من عطفها والعاقل من اهلها
من استعد لحتلها وليس الاستعداد لذلك الا التاهب لبغتها المكتوم
وفراقها المحتوم والاستكثار منها نقيض ذلك وقالوا ان الخروج من
الدنيا وفراقها مما لا تطيب به نفس ولكن قد يهيا رياضة النفس
عليه باستشعار الزهد في الفاني العاجل والاستكثار من العمل النا فع
في الاجل وقالوا النعم في الدنيا يضاعف حسرة زيالها ويوكد
غصة اغتيالها ثم ان الراهب السايح عاد الى سياحته فقل ما لبث
ان هلك قيل فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم المثل الذي ضربه
له واستبصر فيما تضمنه من الحكم قال له جزيت من ناصح خيرًا
فخذ الآن في النصح لحالي عندك فقد ادبتني كابتك وهياتني
للقبول وجلت عن فطنتي صدا غرتي فقال الراهب للراعي قد
اوضحت لك غلطك في دعوى ملك ما استرعيت له واستعملت فيه
وايتمنت عليه وكشفت لك ما ستر عنك من قبح حملك على نفسك
لغيرها معتاضًا عن ذلك اعواضًا قليله واعراضًا مستحيله واردد
البقر الى ملاكها واعمل في خلاص نفسك من السباع الضاريه والافا عي
الجاريه والكلاب العاويه والعقبان المختلسه والشياطين الموسو

alkoutob.blogspot.com

والاشراك الخاتله والسموم القاتله لتنجوا من البوار وتعلوا الى عالم
الانوار فلما انتهى بابك الى هذه الغاية من امثاله امسك عن القول
واطرق ابوه اردشير متاملا ما تصرف فيه ولده بابك من المقال
وضربه له من الامثال ثم نهض مضطرب البال مضطرم البلبال
وخرج بابك من فوره فساح ولم يعلم اين طاح قال عبد الله الفقير
اليه الغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر عفا الله عنه اني والحمد لله ما
انهيت بغية ما اوردت الى نهيه ما اردت وانا اعوذ بالله من عذاب
الاعذاب كما اعوذ به من حجاب الاعجاب واستكفيه عول السؤال
كما استعفيه عن عول الجواب واستدفع به فساد الخطا كما استدفع
كساد الصواب واتوب اليه
الرحيم التواب

م

BIBLIOTHEQUE ROYALE

نجز الكتاب وهو سلوان المطاع في عدوان الاتباع والحمد لله على ذلك كثيرا نفع الله به مالكه وقاريه ومستمعه

alkoutob.blogspot.com